جامعة مولود معمري تيزي وزو

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماسترII في الفلسفة

تخصص: فلسفة سياسية

توظيف التاريخ في فلسفة ميشال فوكو

من إعداد الطالبتين:

سليماني فريدة

منعوم مليكة

تحت إشراف الأستاذة:

براهيمي جقجيقة

السنة الجامعية 2015/2014

الفهرس

كلمة شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة.....أ

الفصل الأول:معضلة الجنون وعلاقتها بنشأة السجن

المبحث الأول: مقولة الجنون

1 مراحل الجنون.....6

2 نماذج الجنون.....7

المبحث الثاني : تشديد المراقبة وتسليط العقاب

1 أنواع
العقاب.....12

2 نقد فوكو للمؤسسات العقابية.....14

الفصل الثاني :علاقة المعرفة بالسلطة

المبحث الأول :علاقة السلطة بعلم النفس 33

المبحث الثاني:علاقة السلطة بعلم الاجتماع.....40

المبحث الثالث:علاقة السلطة بالطب العقلي.....43

الفصل الثالث: الجنس والسلطة

المبحث الأول:علاقة المعرفة بالذات الجنسية 47

1) صفة الجنس في الحضارة الغربية.....51

2) وسائل الاعتراف.....54

المبحث الثاني:اهتمام الذات باللذات.....56

1) المجازفة والمخاطرة.....57

2) مقاربة التحليل النفسي.....57

3) علم الأخلاق.....60

المبحث الثالث:انشغال الذات بالجنس.....62

1) غالينوس.....63

2) حمية المتع.....64

3) نماذج من الشذوذ الجنسي.....65

خاتمة

كلمة شكر وعرفان

الحمد والشكر أولا لله تعالى الذي أنعمنا بنعمة العقل والصبر، ووفقنا في إتمام هذا العمل المتواضع والذي نتمنى أن يكون في المستوى.

أما بعد:

أتقدم بالشكر إلى من علمني حرفا من الابتدائي إلى الجامعي، وجزيل الشكر إلى الأستاذة برا هيمي ججيقة التي وهبتنا الثقة في العمل ودعمتنا بنصائحها القيمة وتوجيهاتها .

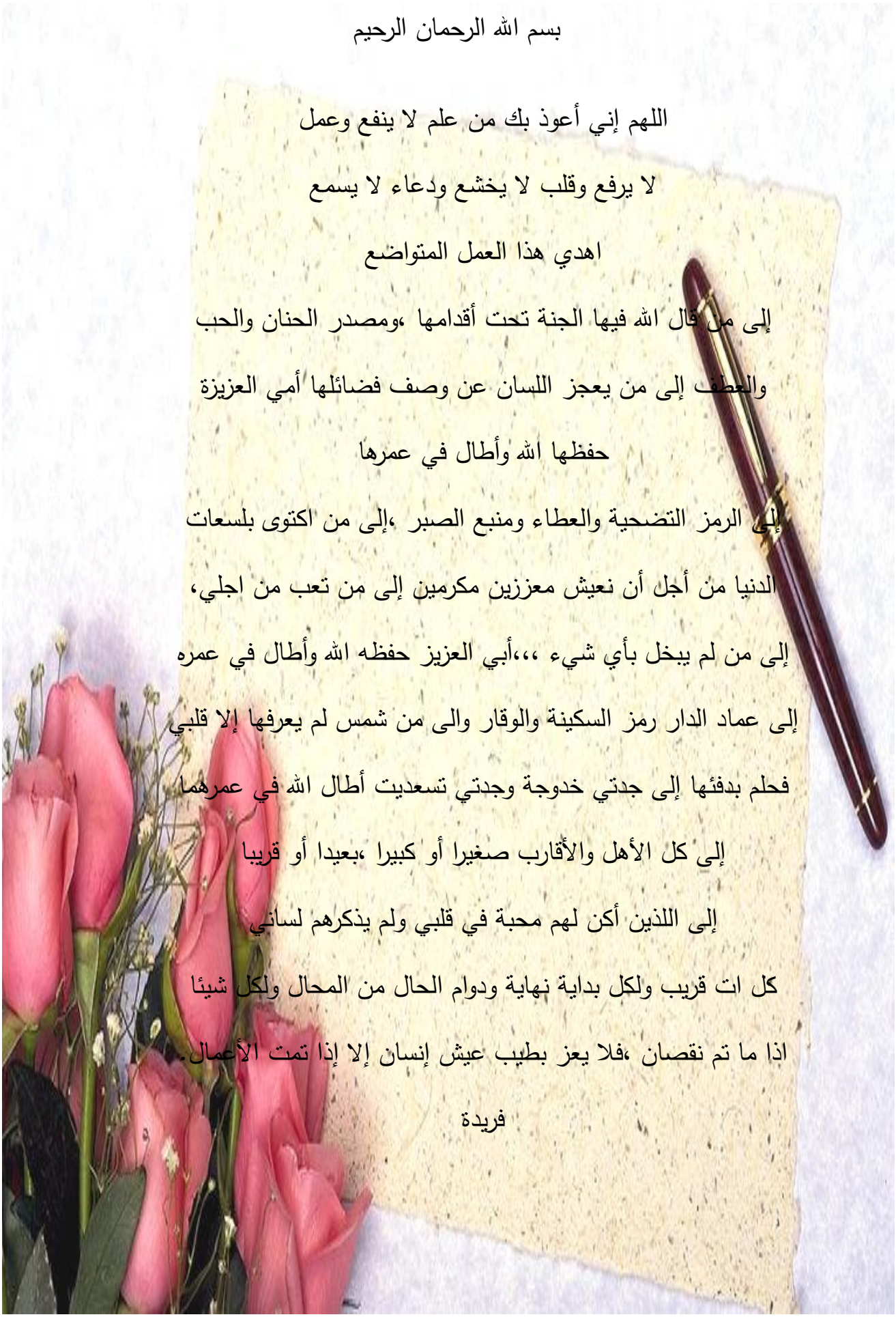

بسم الله الرحمان الرحيم

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل

لا يرفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع

اهدي هذا العمل المتواضع

إلى من قال الله فيها الجنة تحت أقدامها ،ومصدر الحنان والحب

والعطف إلى من يعجز اللسان عن وصف فضائلها أمي العزيزة

حفظها الله وأطال في عمرها

إلى الرمز التضحية والعطاء ومنبع الصبر ،إلى من اكتوى بلسعات

الدنيا من أجل أن نعيش معززين مكرمين إلى من تعب من اجلي،

إلى من لم يبخل بأي شيء ،،،أبي العزيز حفظه الله وأطال في عمره

إلى عماد الدار رمز السكينة والوقار والى من شمس لم يعرفها إلا قلبي

فحلم بدفئها إلى جدتي خدوجة وجدتي تسعديت أطال الله في عمرهما

إلى كل الأهل والأقارب صغيرا أو كبيرا ،بعيدا أو قريبا

إلى اللذين أكن لهم محبة في قلبي ولم يذكرهم لساني

كل ات قريب ولكل بداية نهاية ودوام الحال من المحال ولكل شيئا

اذا ما تم نقصان ،فلا يعز بطيب عيش إنسان إلا إذا تمت الأعمال.

فريدة

الإهداء

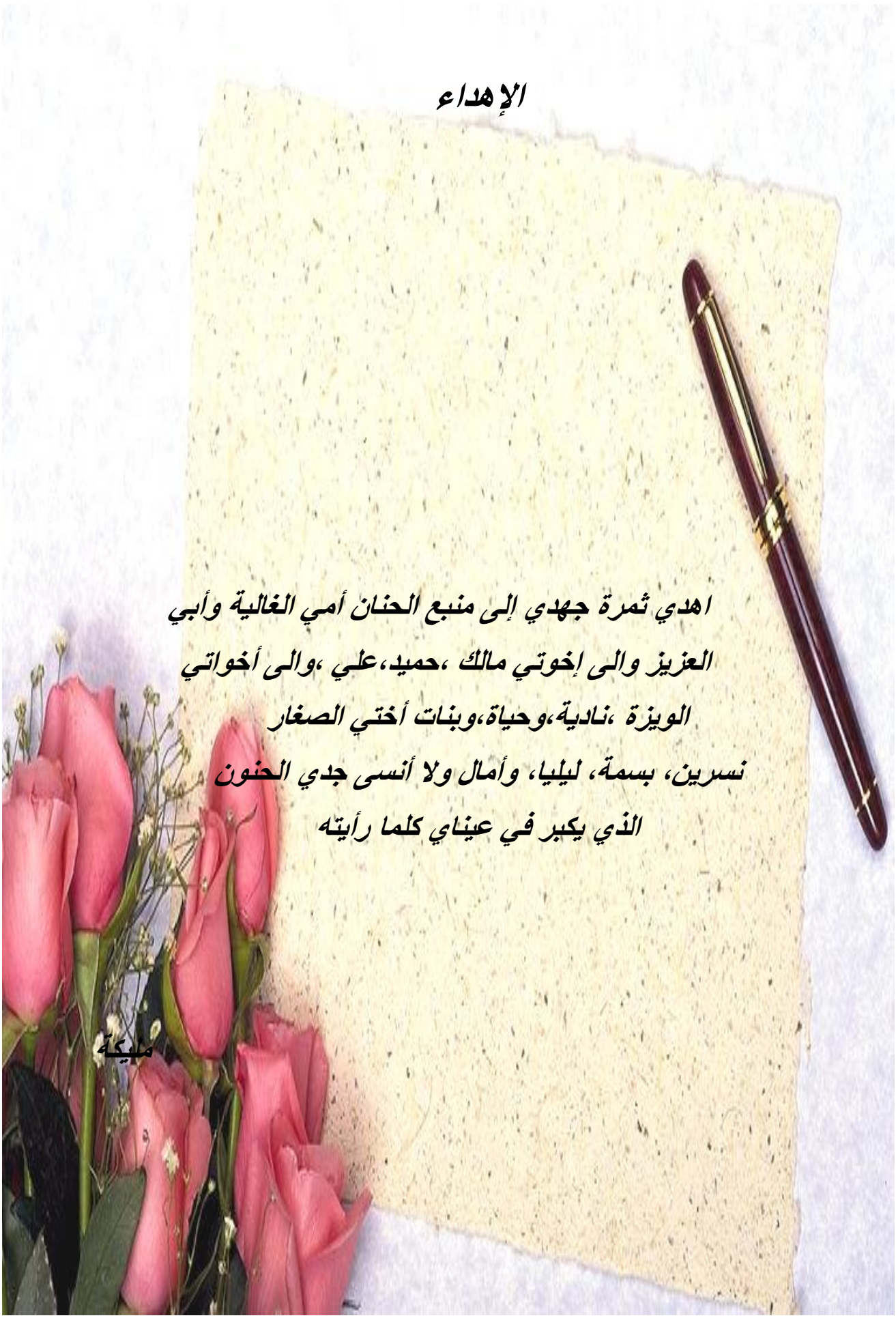

اهدي ثمرة جهدي إلى منبع الحنان أمي الغالية وأبي العزيز والى إخوتي مالك ،حميد،علي ،والى أخواتي الويزة ،نادية،وحياة،وبنات أختي الصغار نسرين، بسمة، ليليا، وأمال ولا أنسى جدي الحنون الذي يكبر في عيناي كلما رأيته

مليكة

مقدمة

حاول فوكو مساءلة الحضارة الغربية، وظهر ذلك من خلال حفرياته، وبين ذلك من خلال الدراسة لإشكالية التاريخ، فأراد أن يبين أهمية التاريخ في الفلسفة، وتتبع مختلف أثاره في شتى المسائل ،حيث سعى جاهدا إلى فهم العلاقة القائمة بين الجنون والسلطة، وذلك من خلال العودة إلى الأرشيف الفرنسي خاصة والغربي عامة ،وتساءل عن جدوى فرض الرقابة، وجعلها أساسية في الخطة التأديبية، دون أن ينسى آليات العقاب، مما يؤدي إلى مشكلة التوازن بين الجريمة المرتكبة والعقاب المطبق على الفرد، والتي لها علاقة مباشرة بإشكالية التعذيب والمساس بكرامة البشر، أفرادا أو جماعات ،كما بين أدق التفاصيل التي عملت من خلالها السلطة على جعل الجسد ميدانا للعقاب، ووظفته بطريقة عبقرية في المؤسسات العقابية .

سبق لفوكو أن بين وضبط خبايا المنطقة الممنوعة ألا وهي السجن ،وألح على ضرورة اختراق جدرانه من أجل البحث والاستفسار عن كل ما يحدث ،لفرض التخفيف من حدة احتكار السلطة لأسرار ممارستها في شتى المجالات، وكيفية استغلال العلوم (العلوم الإنسانية) للوصول إلى مبتغاها.كما بحث في مسألة الجنس وأبرز علاقته بالسلطة، وفند ذلك الاعتقاد السائد حوله، الذي كان مرتبطا باللذة ،إلى جانب ذلك تطرق إلى إشكالية السلطة والمعرفة، وتتبع مختلف آلياتها ومنطق عملها، ومحاولة شرح وتحليل القضية الشائكة التي تصل المعرفة بالسلطة، مبينا لنا نقاط التقائهما، ونقاط صراعهما، ومدى علاقتها بالجسد واستعمال مختلف أجهزة الرقابة. مما أدى بها إلى الخروج عن مهامها السياسي وخروجها إلى نشاط خر مثل ابتعاد المعرفة عن نطاقها العلمي، والتي يتفق عليها الجميع بأنها أغراض علمية تخدم الإنسان، وتجعله مؤهلا لتعايش مع واقعه. كما أراد فوكو تناوُل مختلف المسائل الهامشية ،والتي مازلت تتلبس واقعنا، وتتطلب حلولا مثل معضلة الجنون

التي ظلت دون حلول كافية ، رغم تقدم و تطور الطب النفسي والعقلي ولجأ إلى أدلة تاريخية لتوضيح أفكاره .

استخدم فوكو المنهج الحفري لكونه الملائم للوصول إلى الحقيقة ،وتعمقه في المجال التاريخي أين حاول أن يفك الظاهرة الاجتماعية التي لها جذور متأصلة داخل المجتمع الإنساني،فقام بالحفر داخل هذا الواقع .عالج فوكو مسألة الجنون ليس كالطبيب ولا كمؤرخ بل كفيلسوف، فبحث عن الأسس الابستومولوجيا، والشروط التاريخية الثقافية لمفهومه، أي بحثه مرتبط بتاريخ الأفكار ،فاعتقد أن الجنون هي ظاهرة إجتماعية ثقافية ،وليس مرضا بمعنى الحصري والضيق،فهو يرى أن الجنون هو ذات تنتجها آليات ومؤسسات سلطوية ،فهي التي تنتج وتعيد إنتاج هيئة الجنون، ضمن إجراءات طبية سلطوية معقدة، وذلك بعودته إلى النماذج التاريخية المختلفة ،ومن ثمة سعيه إلى فهم العلاقة بين الجنون والسلطة ,وبحث عن أسس الرقابة؛ وجعلها أساس في خطتها الدراسية، دون إهمال البحث عن آليات العقاب، وأشار إلى مشكلة التوازن بين نوع الجريمة المرتكبة، وأنماط العقاب.كما حلل أدق التفاصيل التي من خلالها وضح الكيفية التي استغل بها جسد الإنسان،هذا من جهة ومن جهة أخرى ،بين الطريقة القمعية والاستغلالية الممارسة من طرف المؤسسات العقابية ومدى خطورتها عليه ،أي استعملت جسد المذنب لبلوغ غايتها، وليس هذا فحسب وإنما استعملت التشهير في العقاب لغاية اتخاذ العبرة ،أي تخويف وترهيب الآخرين.

بين فوكو خبايا السجن، وكيفية اجتياز المساجين لأيامهم بطريقة انضباطية صارمة، وسعى إلى البحث عن استفسار كل ما يحدث وراء الجدران، كما ابرز العلاقة التي تربط الجنس بالسلطة ، فبحث في مسائل جديدة خاصة بحياة الإنسان ومختلف انشغالاته ،والتساؤلات

التي تتطلب حلولا مثل ، مسألة الزواج المثلي ،ومصير المؤسسة العائلية، ومشكلة الجنون التي ظلت دون تقديم حلولا كافية ،رغم تقدم ميدان الطب النفسي والعقلي، وهذا كله له صلة وطيدة بتجاوزات أخلاقية، وقانونية للإنسانية، ما أدى به إلى البحث الحفري، والتساؤل عن كيفية استثمار هذا العمل معرفيا وعلميا .والإشكالية المطروحة في بحثنا هذا هي كيف وظف فوكو التاريخ في فلسفته؟وكيف وضح العلاقة الموجودة بين الذات والسلطة؟وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا على منهج تحليلي استنتاجي ،وعلى الدراسة النصية المباشرة لأعمال فوكو التي لها علاقة ببحثنا هذا أهمها:

* **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي** :أين تناول فيه فوكو طريقة تعامل الحضارة الغربية مع الجنون منذ العصر الوسيط إلىغاية العصر الحديث مبينا في ذلك النماذج التاريخية التي عاد إليها من خلال بحثه في الأرشيف والطريقة التي كان يعاملون بها داخل المستشفيات بحجة المعالجة وتنافر المجتمع من الشخص المجنون .

* **الرقابة والعقاب**:تطرق فوكو من خلال هذا المؤلف إلى أنماط العقاب التي كانت منتشرة في الأوساط الغربية وتحديد القوانين وفق الجريمة المرتكبة موضحا الهوة القائمة بين الفلسفة وتشريع القانون.

* **حفريات المعرفة**: في هذا الكتاب تطرق إلى المواضيع التي تناولها في بداية فلسفته كالجنون والعقاب والتي لها علاقة مباشرة مع السلطة.

* **تاريخ الجنسانية**: الذي ينقسم إلى ثلاثة أجزاء ،فالجزء الأول المعنون بإرادة المعرفة والجزء الثاني عنوانه الانهمام بالذات والجزء الثالث بعنوان استعمال اللذاتكما اعتمدنا على خطة وفق المصادر والمراجع المستعملة في هذا البحث وهذا كي نسير قدما بالبحث الذي قسمناه إلى ثلاثة فصول وكل فصل إلىمباحث.

ففي الفصل الأول الذي عنوناه :"**معضلة الج نون وعلاقتها بنشأة السجن** "والذي قسمناه بدوره إلى مبحثين تناولنا في المبحث الأول"**مقولة الجنون** "وتطرقنا فيه إلى:- مراحل الجنون –نماذج الجنون ،والمبحث الثاني تناولنا فيه تشديد المراقبة وتسليط العقاب ،وتطرقنا فيه إلى – أنواع العقاب–نقد فوكو للمؤسسات العقابية.

أما في الفصل الثاني وعنوانه " **علاقة المعرفة بالسلطة"** ويتمحور في ثلاث مباحث المبحث الأول تناولنا فيه "**علاقة السلطة بعلم النفس"** والمبحث الثاني ناقشنا فيه"**علاقة السلطة بعلم الاجتماع"** والمبحث الثالث عالجنا فيه "**علاقة السلطة بالطب العقلي"**أما في الفصل الثالث الذي عنوناه" **الجنس والسلطة"**والذي عالجنا فيه ثلاث مباحث،المبحث الأول"**علاقة المعرفة بالذات"** والمبحث الثاني" **اهتمام الذات باللذات"**و المبحث الثالث"**انشغال الذات بالجنس"**

الفصل الأول

معضلة الجنون وعلاقتها بنشأةالسجن

لقد أشار فوكو في كتابه "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" إلى النظرة السائدة حول الجنون، ففي العصر الوسيط كان المجنون كائنا مهمشا وغريب ،واعتبر كائنا تحت مرتبة الإنسانية أي كان مهانا في ذاته وشخصيته ،لأنهما محميان من طرف الأرواح الشيطانية وفي هذا يقول هاشم صالح:«شاع اعتقاد في العصر الوسيط مفاده أن الجنون روح شريرة سكنت جسد المريض»[1].كما كان يعتقد الجنون والرذيلة أمران لا ينفصلان خلال العصر الوسيط وهذا راجع إلى الاعتقاد الديني الذي كان سائدا آنذاك. إن لإنسان صورة عن الله في الأرض وبالتالي فالجنون هي الصورة المخالفة لله، ومن ثمة حضور الشيطان الذي هو مرتبط بالرذيلة. وليس هذا فقط، وإنما اعتبر ذلك العصر شكل من أشكال انتقام القدرة الإلهية للبشر.

أما في عصر النهضة فكانت السمة المنتشرة والسائدة هي الصحة التشاؤمية(أطلق عليها هذا الاسم لأن السلطة اتخذت الصحة كذريعة للاستغلال المجنون) إزاء ظاهرة الجنون، التي كانت مصدرا للخوف والقلق ،كما أكد ذلك "فوكو:«تعتبر سفينة المجانين رمزا لكل المخاوف التي طغت فجأة على أفاق الثقافات الأوروبية خلال أواخر العصر الوسيط إذ أصبح الخبل مصدرا لتلك المخاوف، فالمعتوهون عبارة عن شخصيات خارقة يحيط بها اللبس دوما» [2]فسفينة الحمقى أو المجانين تحمل سمات ودلالات عديدة في الثقافة الغربية فهي ترمز إلى عملية طرد المجانين إلى المناطق المهجورة ،والفعل الذي لا يقل قسوة هو عزل المصاب بالجذام ،لكونه كان ينظر إليه بأنه مرض معدي، والهروب منه وعليه ظهر" مرسوم في عصر النهضة الذي حدد الإنسان المعاصر من خلال إعطاء المجنون حقيقته المستلبة ، (....) فهنا سيشعر المجنون داخله بأنه مقصى(....) ثم تسييج هذا الحقل فعليا بفضاء الحجز."[3]

إنّ تأسيس المستشفى العام في باريس ما هو إلا دليل في التفكير وتطبيق خطة عزل المجانين، الخطوة الأولى التي بادرت بها السلطات لتجسيد الفعلي لمشروع العزل، وإنشاء مركز الحجز

[1]– هاشم صالح، فوكو فيلسوف القاعة الثامنة،مجلة الكرمل،العدد 13، 1984 ’ص36

[2] جبيقة براهيمي ،حفريات الاكراه في فلسفة ميشال فوكو، منشورات الاختلاف ،الجزائر ،الطبعة الأولى،2011 ص24 .

[3]– ميشال فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة سعيد بنكراد،المركز الثقافي العربي،ط1 2006 ،ص105

من أجل تشديد المراقبة على المساجين،و بهذا يكون العصر الكلاسيكي قد دشن مرحلة تهميش ،وإقصاء المجنون ووضعه بعيدا عن الفئات الاجتماعية الأخرى، وبالتالي فلم يكن"مالبرانش" مثلا أن يثق بالمجانين أو بما يفعلون أو يقولون ،لأنهم لا يدركون الحقيقة، وهذا ما أشار إليه "جان لاكروا" في مقالته "دلالة الجنون في فكر ميشال فوكو" «إن الجنون بالنسبة لفيلسوف مثل مالنبرانش، تخيل محض لأنه فكر أعمى»[1]، أي اعتبر الجنون في تلك الفترة مضاد للعقل، فعندما نذكر الجنون نفهم اللاعقل، لذلك عملت السلطة جاهدة إلى قمعه، وذلك من خلال تأسيس المستشفى العام بباريس، و المستشفى كما هو معروف عند الجميع هو مؤسسة علاجية، لكن غير مهمته في العصر الكلاسيكي وتحول إلى مؤسسة احتجازية يضم مختلف الفئات الاجتماعية، التي هي مصدر الإزعاج خاصة لسلطة.

كما أن عملية الحجز لم يكن لها هدف اجتماعي فقط، بل خرج إلى مهمة أخرى، ألا وهي المهمة الاقتصادية وفي هذا يقول فوكو "بلور أشكالا جديدة لرد الفعل أمام قضايا الاقتصاد والبطالة ،وبلور أخلاقا جديدة للعمل"[2] نفهم من خلال هذا أن المجنون كان يستغل في الإطار الاقتصادي من خلال قيامه بمختلف الأعمال الشاقة مجانا ،وطبقوا مبدأ آخر وهو فرض الضريبة على كل سلوك خاطئ يقوم به.

انتقل المستشفى بطرقة غريبة من مهمة العلاج إلى مهمة الحجز والقمع ،وبالتالي فالمستشفى فقد المهمة التي من أجلها تأسس تحت رعاية وحماية السلطة بوضعها في أيدي رجال الشرطة، والمحكمة داخل المستشفى وخارجه ،ومنحهم صلاحية السلطة والمحكمة ،والتخلص من كل فقراء باريس، وعليه فإن الفقر أصبح المعيار الأساسي الذي يتم من خلاله تحديد المصابين بالجنون، وإقصاء طبقة الفقراء من الحياة السياسية، لكونهم فاقدي الأهلية، نتيجة أوضاعهم

[1] ميشال فوكو ، نظام الخطاب ، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير بيروت، لبنان، طبعة الاولى2007، ص78.

[2]– ميشال فوكو ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص78 .

المزرية. في هذه المرحلة تم تصنيف الحالات المرضية، فهناك مجانين، هناك معتوهين، الشواذ... وهذا ما يبينه"فوكو" في قوله:«ليس بإمكان طبيب الأمراض العقلية ولا بإمكان المؤرخ إرجاعنا إلى نفس الفضيحة ،حيث لم نخجل من وضع المعتوهين في السجن»[1].

ظهرت مرحلة المعاملة أللإنسانية التي كان المجنون يعامل بها، ومن ثمة ظهرت مواقف عديدة تنفر من المعاملة السيئة لهؤلاء.مما أدى إلى الالتفات إليه من خلال أنه عضو خاص في المجتمع، وهذا ما لم يتغافل عنه الدارسين من أمثال "فرانك"«الذي قال إن زاروا ملاجئ المعتقلين في ألمانيا يتذكرون برعب ما رأوه،أصبنا بالفزع ونحن ندخل ملاجئ ينبعث منها الألم والحزن، لا نسمع غير صرخات التشاؤم فعرفنا أن لإنسان الذي يميزه فضائله ونبوغه يسكن داخل المعتقلات»[2]، ومن هنا يمكن أن نفهم بداية التطور و الاهتمام بالمجنون ، ولكن ليس حبا فيه وإنما لمصلحة من وراء ذلك ،ومسايرة التطورات والتغيرات السائدة في المجتمع الأوربي.

إن عملية تحرير المجانين لم تأتي من فراغ، بل بعد دراسة وتحليل لمدة زمنية طويلة، والتأكد على أن الثمن غالي، والتكلفة باهظة، أين وجدت السلطة نفسها بحاجة إلى يد عاملة بأقل ثمن ممكن، ففكرت في تحريرهم، ومنحهم الحرية مقابل خدمتها.بدل أن يكونوا عالة عليهم لما لايكن عضو يستفيد منه ؟ ! ومن ثمة تم استغلاله بأبشع الطرق .

فسبب العزل كان هدفا اجتماعيا، وهو امتصاص البطالة، وسبب التحرير، هو السبب اقتصادي لحجاتهم لليد العاملة الرخيصة بسبب انتشار المذهل والواسع للمصانع. وقد ربط "فوكو" هذه الخطوة بالثورة الفرنسية، والإعلان عن لائحة حقوق الإنسان، وبدأ تشخيص حالة الجنون كحالة مرضية لابد من علاجها، ومراقبتها داخل العيادة ؛وظهور أطباء نفسانيين في سنة 1802 ،ومن ثمة غاب رجال السلطة القمعية وحل محلهم الأطباء، وتقبل الجنون كحالة مرضية ،وكل هذا ساعد على ظهور و تطور العلوم التجريبية، وربطها بالعلوم الإنسانية.

[1]Michel Foucault, Histoire de la folie al âge classique, p226

[2] Ibid , p 227

ربط "فوكو" بين الجنون والحكمة والفن بحيث صرح على ذلك في قوله"الحكمة والجنون متجاوران ،فليس بين هذا وذاك سوى خطوة"[1] ،كما أكد على أن جل الأعمال الإبداعية لها صلة وطيدة بالجنون، سوءا كانت أدبية أو فنية ،وهذا مايبرر فشل علماء النفس في فهم الجنون ،من بينهم العالم النفساني "فرويد " الذي اعتقد نفسه أنه تمكن من الوصول إلى نفس المجنون الواعية والغير الواعية ،وهذا ما أكده هاشم صالح في قوله: «حتى سيجموند فرويد لم يتمكن من تحرير صوت المجنون»[2]. المهم ليس تحرير المجنون من خلف القضبان ،وإنما المهم تحرير معنوياته ،التي قد تحتوي على إبداع لا يتوفر سوى في شريحة المجانين، و التي تخدم الفن.

إن العصر الكلاسيكي تميز بتطور وضعية المجنون من مرحلة الأخرى، فبعد أن كان يعامل معاملة الحيوان أصبح يلفت إليه، ومحاولة إيجاد حل له وتشخيص حالته كحالة مرضية وإزالة كل شوائب السحر، والعقاب الإلهي عليه، ولكن لأسباب سوءا كانت اقتصادية أو اجتماعية. وبالتالي نجد فوكو تتبع مراحل تطور المجنون في العصر الكلاسيكي، واستعمل إحصائيات وتواريخ استمدها من الأرشيف كاستشهادات وأدلة.

- **تطور مقولة الجنون:**

تميز العصر الكلاسيكي بالاعتقال، أين زج بمختلف الفئات الاجتماعية داخل المستشفيات والمؤسسات العقابية، فنجد المجانين، المعتوهين، الشواذ، الحمقى...الخ، وهذا لكونهم لم يشخصوا حالة الجنون لجهلهم لها،وهذا ما يؤكده قول فوكو "نحن نعتقد اعتقادا جازما أن الذي قاد إلى تطبيق أشكال الحجز الأكثر عمومية ،والأكثر اعتباطية على الجنون هو الجهل بطبيعته"[3]

[1]- ميشال فوكو ،تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي،ص56

[2]– هاشم صالح ، فوكو فيلسوف القاعة الثامنة، مجلة الكرمل، العدد 13، ،1984، ص36

[3] ميشال فوكو،تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ،ص133

فبعد أن كان المجنون في القرن السابع عشرة ، كائنا ضائعا ومنبوذا ومهمشا،أصبح يُنظر إليه في القرن التاسع عشرة كحالة مرضية، مثلها مثل الحالات الأخرى ،لاسيما العضوية منها،لذا لابد من معالجتها.

لقد كان السجناء يعاملون معاملة سيئة و قاسية ،هذا ما يبينه فوكو في قوله "أنت على علم أن هؤلاء السادة في" سان لازار" متهمون منذ مدة بمعاملتهم للمعتقلين بقسوة شديدة ،بل منعوا أهل هؤلاء الذين أرسلوا إلى هناك باعتبارهم يعانون من خلل عقلي من معرفة حالتهم التي كانت جيدة للاحتفاظ بهم أطول مدة ممكنة "[1] فمن خلال هذا التصريح يمكن أن نفهم أن المجنون يطبق عليه كل أنواع الإكراه والاستغلال لحالتهم الصحية، للاحتفاظ بهم داخل المؤسسات لتخلص منهم ومن إزعاجهم.

كان لشخصية الطبيب دور هام في تحديد صفات المرض، فهو الوحيد الذي يملك حق تشخيص حالته، والإقرار في أي نوع من الأمراض يدمجه، هل هو مجنون، أم أنه أبله، أم أنه أحمق... ، وعند قيامه بهذه الخطوة ،ستسند المهمة للقاضي في إصدار قرار الحجز ، وفي هذا يقول "لقد كان قاضي الصلح هو الذي يتخذ قرار الحجز"[2].

تم تحليل ظاهرة الجنون خلال القرن السابع عشرة، من خلال التغيرات التي يمكن أن يحدثها النظام. وعليه فيجب التعامل مع المجنون بكل الأبعاد الأخلاقية، و محاولة تبرير إقصاءه، فالإنسان باعتباره ذاتا اجتماعية. فإن الجنون يورطه مع المحيط ،و القانون يعمل باستمرار على تحليل أسلوب الجنون، ومن ثمة نجد ظاهرة الجنون أصبح لها علاقة مع القانون و الطب، أي أصبحت مشخصة من طرف المؤسسات القانونية والمؤسسات الطبية. وفي هذا نقرأ شهادة موقعة من طرف أحد الأطباء «لقد رأينا وزن المسمى شارل دورمان وبعد أنْ فحصنا سلوكه وحركات عينه ونبضه ،تتبعناه في كل هيأته، وطرحنا عليه أسئلة متنوعة، واستمعنا إلى أجوبته تأكد لدينا بالإجماع أن المسمى دورمان غريب الأطوار ويشكو من خلل ذهني ودخل في حالة

[1] المصدر سبق ذكره،ص،-144،145
[2] المصدر سبق ذكره،ص،149

جنون وبلاهة» [1]من خلال قراءتنا لهذا النص يمكن أن نقول أن هناك مستويين ،في المجال الطبي، الأولى من زاوية القانون، والثانية من الزاوية الاجتماعية، ففي الأولى فيها تحليلا قانونيا للقدرة على المعاملات، أما في الحالة الثانية فهي تحليل لسلوك الإنسان الاجتماعي مثل السوي، الغير السوي، المعافى، المريض....الخ.

حاولت السلطة في القرن الثامن عشرة ،من تعميم ظاهرة الحجز، وجعله بمثابة دواء لتخلص من الداء، أي المجنون ،ومن الخطر الذي ينتجه ،والتهديد الذي يمارسه على الفئات الأخرى من المجتمع خاصة الطبقة البورجوازية التي تعتبره كائنا غريبا يجب التخلص منه ،وفي هذا صرح فوكو قائلا:"ينظر المجتمع إلى المجنون باعتباره غريبا عن وطنه"[2] ومن ثمة إقصاء كل ما هو غير قابل للإصلاح والاندماج.

- **مراحل الجنون**

لقد مر الجنون في الغرب عدة مراحل بين أواخر العصور الوسطى، والعصر الحديث والتي يمكن حصرها في أربع خطوات:

(أ) في القرن 16 أزيح الجنون عن المكانة التي كان يحتلها ،فكانت هذه الظاهرة توصف بالحقيقة الإلهية لكونها ظاهرة تختلف اختلاف جوهري عن الحكمة الإنسانية.

(ب) أما في العصر الكلاسيكي فتطورت نظرة الجنون و أصبح الجنون يقابل العقل من حيث الاتصال أو المحاورة.

(ج) أما في القرن 19 فتغيرت العلاقة الموجودة بين الجنون والصحة العقلية وشخصت حالة الجنون كحالة مريضة لا يختلف عن أبناء جنسه الأصحاء وتم تحديد مرضه كمرحلة من مراحل تطور الكائن البشري فكما قال "فوكو" «.....فالجنون إما يكون طفولة لم تتم أو هي نكوص إلى مرحلة الطفولة»[3]

---

[1]– ميشال فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص ،153

[2]- المصدر نفسه ،ص،156

[3]– محمد حيان السمان، الجنون في الثقافة العربية، ، منشورات الرياض الريس لندن ص،1

(د) أما في القرن العشرين، استعملت طريقة جديدة لفهم العلاقة بين الجنون؛ و الصحة العقلية التي حددتها مدرسة التحليل النفسي التي أحدثت ثورة في جميع العلوم، التي أكدت التشابه الموجود بين الصحة، والجنون، وهنا يرى فوكو وهو يعرض هذا الاتجاه أن التحليل النفسي أعطى للجنون صفة الموضوعية ،وأصبح موضوعا يدرسه الطبيب مثله بقيمة الحالات المرضية الأخرى ،غير أن رغم هذه التطورات في حالة الجنون إلا أنه يبقى كائنا اجتماعيا غريبا عن مجتمعه، وعالمه، لذلك نجد المجنون في هذا يرى نفسه في عالم خاوي، أي فارغ يستثمر ضمنه أو قد يثير أسئلة مدهشة لا جواب عنها ، أو لا وجود حتى للجرأة من الأخر للإجابة عنها لكون المجنون شخص غريب عن مجتمعه.فحسب فوكو شخصية المجنون صاغها أو أنشأها الوعي السائد في المجتمع فكما صور المجنون فهو إنسان منسلخ عن كل ما هو خارجي و لكن غير منسلخ عن نفسه وذاته فكما يقول: «يريد الانسلاخ عن صورة السجن»[1]

يحمل المجنون شخصية بطولية تتحقق، وتظهر من خلال ممارسة الشخصية الجنوبية بواسطة التكلم. بمعنى بطولية المجنون تكمن في فاعليته ككائن متكلم؛ والذي خان المجنون هو الوعي ونقصد هنا الوعي المنظم ،الذي عليه تتأسس المعرفة ،أي ما هو بين الذات والموضوع. فالمجنون يعبر عن ذاته بدون عوائق ،ولغته هي لغة إفصاح ،ومن خلال هذا يمكن القول بأن خطاب الجنون له هشاشة، بل وهناك فقر في الرؤية عنده ،مادية كانت أو روحية

• نماذج الجنون

لقد أدرك التحليل النفسي بعبقرية فذة أن مصدر الجنون هو فعل جنسي مضطرب، والحجز لم يقتصر على المجانين ،أو الشواذ الجنسي، وإنما ضم كذلك الخطائين، وكل المتهمين بالمس وبالمقدسات الدنية .

[1]– المرجع سبق ذكره، ص 5.

نجد فوكو هنا أراد أن يوضح مسألة جد مهمة ، و التي تتمثل في تنوع فئات الحجز ،فلم تقتصر على المجانين، أو كما اصطلح على تسميتهم باللاعقلانيين، بل ضمت حتى فئة المثقفين الخارجين عن الدين. والحجز في الحقيقة هو استبعاد للعقل، ففضاء الحجز كان غريبا حقا، مصابون بأمراض تناسلية، منحرفون،مبذرون شواذ جنسيا، متهمون بالقذف في المقدسات الدينية، فكل هذه الفئات وجدت نفسها فجأة في النصف الثاني من القرن السابع عشرة ملقى بها في المستشفيات، و التي ستصبح فيما بعد حقولا،ومن بين هذه النماذج نجد:

- **مجموعة العته:**

أطلق على هذا المرض مفاهيم عديدة وحصرها فوكو فيما يلي "الجنون،غياب العقل ،الحماقة، الغباء، مزاج غير سوي "[1] فهذا المرض يجعل المريض يعاني من عدة اضطرابات منها عدم الاستقرار في الذهن الوهم...الخ فاتفق الأطباء على أنها اضطرابات ذهنية تحدث في الدماغ وفي هذا يقول "فوكو" «إن العته هو كل ما يحيل داخل الحكمة الميكانيكية للدماغ و الألياف و الأذهان على عناصر اللامعقول»[2]،فمن خلال هذا التصريح نجد أن فوكو ربط هذا المرض مباشرة بالألياف الدماغية ،أي أنه خلل عضوي يحدث في أحد المناطق الدماغية ،كما أن صفات هذا المرض تتحدد حسب سن الأفراد ،فالشاب يختلف عن الشيخ.والوظائف الأساسية للذهن تفكر في فراغ ،إذن يبقى مفهوم هذا المرض أقرب إلى اللاعقل .

- **الهوس و الاكتئاب:**

إن هذا المرض يتحدد من خلال الأفكار التي يشكلها الفرد عن سخصيته فيتوهم أنهيشبه بعض الكائنات ،أو بعض الأشياء، فيقوم بتقليده وفي هذا يقول"كان هناك منهم من يفكر في نفسه على أنه بهيمة ،ويقوم بحركات هذه البهيمة وأصواتها ،وآخرون يعتقدون أنهم أوعية من زجاج ،ولذلك يتحاشون المادة في الطريق خوفا من التكسير "[3] فهم يشعرون بالهذيان،أما الاكتئاب

[1] ميشال فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص272
[2] المصدر نفسه ،ص274
[3] المصدر نفسه، ص282

هو شعور بالحزن والرغبة في البقاء منعزلا عن الآخرين ،أي يحبون العزلة وهم مهووسون بأفكار ساكنة في دماغهم لا يستطعون الإقلاع عنها ،فالهوس والاكتئاب يتقاربان فيما بينهم .

- **الهستريا و السوداوية**

يعد هذين المرضين كذلك شكل من أشكال الجنون فهو خلل في أحد الوظائف سوءا كانت عضوية أو عقلية وقد عرفها فوكو كما يلي «هو الضعف أو فقدان الحركة في الوظائف الحيوية والحيوانية،أما الهستريا فتصنف ضمن الإصابات التشنجية للوظائف الطبيعية" [1] فهناك من لم يقبل بالبعد العضوي له، أي الاعتراف بالبعد الذهني هذا من جهة ومن جهة ثانية تم دمجهما في العصر الكلاسيكي إلى الأمراض العقلية في القرن الثامن عشرة، وعلى هذا الأساس فإن الهستيريا تبدو كأنها المرض الأكثر خدعة، فهي واقعية لأنها قائمة على حركة الأذهان وهي وهمية.

هذين الداءين أحسن نموذج على ذلك ،وهكذا نجد فوكو اعتمد على تاريخ بعض الأمراض وكيفية مساهمتها في التأثير على ذهنية الإنسان، مما يؤدي إلى زجه في المستشفيات أو مؤسسات الحجز بمختلف أنواعها .

يؤدي هذا بنا إلى القول بأن المؤسسات العقابية لا تنحصر فقط في السجون، وإنما حتى المؤسسات التربوية والثكنات العسكرية، ومدارس الشرطة ،والمستشفيات العلاجية، التي تبدو في ظاهرها كمؤسسة علاجية، ولكنها في الحقيقة تنحرف إلى غايات أخرى سياسية، اقتصادية عقابية ...الخ كما نجد أيضا مختلف الفئات داخل هذه المؤسسات .فليس المرضى فقط أو كما يدعون أنهم مرضى، وإنما نجد أيضا المتسولين الذين يسببون الفوضى في المجتمع وهم مصدر إزعاج لسلطة نجدهم داخلها، لهذا سيتم فتح المستشفى العام وفي هذا يقول": «إن المستشفى سيفتح أبوابه في السابع ماي ألف وست مائة والسابع وخمسون في وجه كل الفقراء الذين يودون ولوجه بمحض إرادتهم...وأن التسول أصبح ممنوعا في باريس»[2]أصبح التسول

[1]– المصدر سبق ذكره، ص 296

[2]– المصدر سبق ذكره، ص 541.

كداء منتشر في كل أنحاء باريس لهذا يجب ابتكار الدواء له، نظرا لارتكاب هؤلاء جرائم عديدة في مختلف المجلات فهذا القرار (قرار الحجز)، ليس تلبية لنداءات الدولة وإنما هو دافع خيري لتضليل رأي العالم ،وطمس هذا القرار بصبغة دينية، وجعل هذا المستشفى الاحتجازي مؤسسة خيرية، لكون أن تعاليم المسيحية تدعو إلى ذلك ،وكل من يعارض هذه التعاليم سيتعرض للعقاب. إذن يمكن أن نقول أن السلطة صدرت القوانين لتغطية على أعمالها بغطاء الديني لجلب الرأي العام للموافقة على هذه القوانين، كما أن الحياة داخل المستشفى تتصف بصرامة قاتلة ومن لا يطبقها سيعاقب، وهذا ما أدى إلى ولادة السجن.

- **تشديد الرقابة وتسليط العقاب**

قدم لنا "فوكو" صورة واضحة وواقعية عن الطريقة التي طبقت بها وثيقة 1670، وتنفيذ عملية الإعدام جذبا بالأحصنة حيث قال: «حكم على داميان في 2 مارس 1757 بأن يدفع غرامة معنوية هي الإقرار بذنبه علنا أمام باب كنيسة باريس الرئيسي حيث يجب أن يسحب و يقاد في عربة عاريا ،إلا من قميص يستره، حاملا مشعلا من الشمع الملتهب وزنه قرابة الكيلو غرام(....) و فوق منصة الإعدام ستنصب هناك قرصة بالقارصة في حلمتيه و ذراعية وركبتيه وشحمات فخذية على أن يحمل في يده اليمنى السكين التي بها ارتكب الجريمة المذكورة(....)، ثم تحرق يده بنار الكبريت وفوق المواضيع التي قرص فيها يوضع رصاص مذوب (....)وبعدها يقطع جسده بواسطة أربعة أحصنة»[1].

يمكن أن تستخلص من خلال هذا القول الطريقة البشعة التي يعامل بها المجرم (السجين) وأدى بهم الأمر (السلطة) إلى استعمال الحيوان (الحصان) لجر هذا الشخص الذي لم يبق فيه إلا العظام ..كما أن هذه العملية تقوم في ساحة عمومية من أجل مشاهدة مراحل التعذيب والعقاب ،ولو كان ذلك رغما عنهم لهدف أخذ العبرة من المشهد، وكذلك هذه الطريقة تكون ضمن

[1] ميشال فوكو ،المراقبة والمعاقبة، ترجمة علي مقلد،مراجعة وتقديم مطاع صفدي ، مركز الانماء القومي ، بيروت 1990 ص47 .

الخطة التأديبية في العصر الكلاسيكي ،وهذا من أجل التذكير بقسوة الفضائح كما سماه، وفضائح العدالة التقليدية، فكان المجرم تقطع أوصاله وكان يؤخذ كموضوع وكفرصة تظهر فيها السلطة حضورها السلطوي، واستغلال جسد المجرم وجعله موضوعا لسلطة وأكد هذا فوكو من خلال قوله" وفي هذا السياق يلاحظ فوكو أن العصر الكلاسيكي اكتشف الجسد كموضوع وهدف لسلطة"[1] و بالتالي أُخذ المسجون كفرصة لتسلط أكبر، وهذا في سيناريو التعذيب.

الفلسفة الجديدة التي يفكر فيها فوكو هي فلسفة المشهد، فلسفة الصورة العميقة للواقع التي تكشف عما هو موجود خلف جدران السجن وخلف أسوار المعتقلات، فتكنولوجية السلطة هي تكنولوجية إنتاج الفرد، وتتمثل هذه السلطة في توظيف الجسد ،ومن ثمة تحول جسد الفرد عبرا هذه التكنولوجية إلى موضوع التنظيم ،فالمدرسة والسجن ،والمستشفى، والعيادة ،والجيش ،كلها مؤسسات لتنظيم الأجساد ووضعها في إطار الانضباط، وفرض حركات أفعال محددة.لقد استعان فوكو أثناء عرضه لمشهد التعذيب تتعلق بفنون التقويم ،والضبط ،أو فن التشوهات، وقام فوكو بتحليل ميكروفزيائي يصور التعذيب ،و التوظيف السياسي للجسد، أين يعتمد بتحديد على تشخيص اركيولوجي لأن آلية الوصف التي اعتمدها فوكو تنفذ إلى عمق الظاهرة فتكشف عن صورتها العميقة كما فعل أثناء تصور جسد داميان.

تهدف علنية التعذيب إلى جعل المجرم يعلن إدانته بنفسه. والتشريع لتعذيب ،باعتباره لحظة من لحظات الحقيقة ،وربط التعذيب بالجريمة ذاتها بعرض المجرمين في أماكن حدوث الجريمة ،مما يضفي عليها الطابع الإرهابي (التخويف)، ويتحول التعذيب إلى تقنية تقوي السلطة، كما أن العقوبة ليست العقابية عشوائية، بل هي محسوبة طبقا لقواعد تتمثل في الجلد وكوي بالحديد ونمط التقطيع مما أدى إلى دمج الظاهرة العقابية ضمن تكنولوجية السلطة الهادفة إلى استئصال الجسد، فالعقاب ليس ظاهرة قانونية منفصلة عن بعدها السياسي، بل هو شكل من أشكال السلطة. فهدف فوكو من خلال تحليل تكنولوجية الجسد السياسية هو عزل الجسد

[1] السيد ولد ،تاريخ الحقيقة لدى ميشال فوكو،دار المنتخب العربي لدراسات والنشر ،بيروت – لبنان،الطبعة الأولى ،1994،ص192

البيولوجي عن أجهزة السلطة، بالحفر في واقع التعذيب، وتأسيس ما يمكن أن نسمه بمنهجية العقاب ،فالانضباط هي تقنية السيطرة على الجسد الفردي، والاجتماعي، وبالتالي يجب توفر علم سياسي للحفر في المعرفة المحيطة بالعقاب، فالسجن في الحقيقة ماهو إلا فضاء بصري، قبل أن يكون صورة حجرية ،وهو أوسع من العقاب ،أو هو عقاب شامل يقوم على المراقبة والمعاقبة.

- **أنواع العقاب**
- **الإعدام و الجذب بالحيوانات(الأحصنة):**

طبقت السلطة هذا النوع من العقاب على جسد داميان، وهذا في الساحة عمومية، لغرض إلزام الناس مشاهدة الجلادين لعملهم، فربط جسد داميان إلى أرجل الحصان وجره معه أينما ذهب. وقد استعمل الحصان لأن هذا الأخير هو المعروف في تاريخ الحروب ،وكذلك الجماهير تتسلى بالحصان في حلبة السرك، ويتمتعون بطريقة التعذيب المسجون، وشعورهم بالفخر لأن العدالة تحققت ،والغاية من الاحتفال بالعقاب ، والتعذيب علنا ،يكمن في تذكير الناس بأن هذا هو مصيرهم، لو يخطئوا. ومن ثمة فهم يستعملون طريقة الترهيب بطريقة غير مباشرة أي تحذير المواطنين من أن يتجرؤوا لتحدي السلطة بأي شكل من الأشكال.

- **الإبعاد و النفي**

تتمثل العقوبة في الطرد، و النفي، و التهجير إلى أماكن بعيدة ،أي خارج الحدود، و هذه العملية طبقت خاصة على هؤلاء الذين يشكلون خطرا على الجانب السياسي وبالتالي تم العمل بها في العصور الحديثة مثلا الدول الاستعمارية طبقتها في مستعمرتها،ولكن هذا لايعني بأنها لم تستعمل في المجتمعات القديمة كاليونان

الغرامة المالية:

تتمثل هذه العقوبة في فرض مبلغ مالي على مرتكب الجريمة، وهذا لا نجده في القانون وإنما حتى في بعض الأديان كالدين الإسلامي في قوله تعالى " ...وما كان المؤمن من أن يقتل

مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله "[1] و هذا النوع من العقوبة ندمجها في الإطار الاقتصادي ،و لكنها ليست أقل شدة من العقاب الجسدي، لأنها لا تراعي أحوال الجاني ،فإذا كان غنيا تجرده من ثروته ،و إذا كان فقيرا فإنهم يأخذون ما يملك، وهذا النوع من العقوبة تُطبق على الذين ارتكبوا القتل الخطأ،

- **القصاص:**

يمثل نوع من أنواع العقاب وعرفه فوكو كما يلي:"يقوم القصاص بتسليط عقوبة تكون متكافئة مع الجريمة التي ارتكبها الجاني"[2] وغلبا ما يكون بفصل العضو الذي ارتكب الجريمة كا لسرقة مثلا يكون بقطع اليد ،فهو نموذج مستعمل للإصلاحات وفي هذا يقول "فيتسليط عقوبة من نفس النوع على الجاني ،ولها نفس الدرجة من الشدة بالنسبة للجريمة"[3]

ومن هنا نصل إلى أن العقاب حدث فيه تطور و نوع من التلطيف، فبعد أن كان المجرم يعامل معاملة الكائن الدنيء، وتمارس عليه أبشع أنواع التعذيب، أصبح يعاقب فقط العضو الذي ارتكب الجريمة أي فصل أحد هذه الأعضاء.

- **الاحتجاز:**

ما كان سائدا في أوروبا خلال القرن الثامن عشرة، أن الاحتجاز ليس شكل من أشكال العقاب، واتفق رجال القانون على هذه النقطة ،وفي هذا صرح فوكو قائلا "لا يعتبر السجن عقوبة حسب قانوننا المدني"[4] ،وليس رجال القانون فقط من أكد هذا الرأي ،وإنما نجد كذلك الملاك ،الأمراء يبررون مقولة الاحتجاز من أجل المصلحة العامة ، لكن برغم من هذه الاختلافات حول مسألة الاحتجاز، إلا أنها تعتبر الخطوة الوحيدة التي يلجأ إليها القاضي من أجل حماية المجتمع من خطره ،فبرغم من أن الاحتجاز في الوهلة الأولى لا يبدو عقابا وإنما

[1] الاية 92 من سورة النساء

[2] جيجيقة براهيمي،حفريات الاكراه في فلسفة ميشال فوكو،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،الطبعة الأولى 2011 ،ص63 .

[3] دروس ميشال فوكو (1970-1982) ترجمة محمد ميلاد،الطبعة الأولى 1994 ،دار توبوقال لنشر ،ص17 .

[4] نفس المصدر ،ص17 -

غايتها المتابعة القضائية، والتأكد من فعلته ،لكن لويتم تفحص الأمر ستجد أنه عقاب أكثر مما هو جزاء،إذن العصر الكلاسيكي هو عصر عقاب،ليس عصر إصلاح كما أرادت السلطة أن تبينه ونجد "ريموز"* أثناء مداخلته لدى المجلس «ما هو النظام الجزائي الذي أقره القانون الجديد؟ إنه الحبس في كل أشكاله ...إن الأشغال الشاقة هي شكل من أشكال الحبس. سجن الأشغال الشاقة هو سجن الهواء الطلق.ليس الاعتقال والعزل والسجن الجنح تقريبا سوى أسماء مختلفة لعقوبة واحدة» [1]نظام الجزاء متوفرة في القرن الثامن عشرة مثل المشانق، أعمدة التشهير...، وما أنتجه السجن أمر لا مفر منه، ونقصد هنا الفئات المنحرفة، والكارهة لكل ما هو قانوني، وتطور تقنيات الجرائم.

• نقد فوكو للمؤسسات العقابية

بعد أن تحدثنا عن مختلف أنواع العقاب الممارس داخل تلك المؤسسات سنتطرق الآن إلى موضوع يمكن أن نقول عنه أنه قلب أبحاثه ،أين كشف كل خبايا الحضارة الغربية ،ألا وهي المؤسسات العقابية ،ومحاولته لنقدها ،فماهي هذه المؤسسات؟ ،وما هي الطرق التي اتبعتها في تطبيق خطتها العقابية؟ وهل هناك فئات محددة طُبق عليها العقاب ؟

فكما تعودنا مع فوكو دائما يقوم بتسليط الضوء على الجانب المظلم من تلك الحضارة الراقية، التي يتغنى بها الجميع بأنها حضارة إنسانية ،ألا وهي تقنيات العقاب والتأديب التي تبنتها المؤسسات العقابية بمختلف أنواعها في أوروبا عامة، والمجتمع الفرنسي خاصة ،حيث خصص له مؤلف كامل لتصور مشاهد التعذيب وهو كتاب" المراقبة والعقاب "،أين تطرق إلى تقنيات العقاب المسلطة من طرف الملاك، والسلاطين على المجتمعات الإقطاعية في القرن السابع عشرة، والثامن عشرة .

ريموز رجل سياسي فرنسي ، (1797-1875)كان وزير داخلية 1840،ثم وزير الشؤون الخارجية (1873-1971) ،كاتب القوانين الدستورية(1875)*

[1] المصدر سبق ذكره،ص18

إذا تحدثنا عن أسلوب فوكو ،نجده اعتمد على منهج التفكيك ،أين فكك هذه الظاهرة التي لها جذور متأصلة داخل المجتمع ،فقام بالحفر داخل هذا الواقع الذي تأثر به فوكو باعتباره ابن هذه الحضارة .

إن المؤسسات العقابية في منظور فوكو، صعب التحديد، فليس السجن المكان الوحيد الذي تتواجد فيه المؤسسات الممارسة للعقاب، بل نجد أيضا المستشفيات، الثكنات، الملاجئ ،المدارس، ومن هنا يمكن القول بأن فوكو تحدث عن كل أنواع التعذيب، والجزاء التي تعرض لها الإنسان منذ العصور القديمة .إذن فالمرحلة العقابية إن صح التعبير التي مر عليها الإنسان، انطلاقا من شخصية داميان إلى الفرد الحديث الذي يعاني من ظلم السلطة، والتأديب والانضباط، والجرح ،والسلخ ،فتعددت تقنيات العقاب، وتنوعت المعاني، وجسد المعذب بقي نفسه. وتبدأ هذه المرحلة بعد الثورة الفرنسية ،أين دخل المجتمع الغربي في شبكة "الانضباط المعقلن" [1]الإنضباط يعني السيطرة والرقابة على الجسد الفردي والجماعي، والانضباط يقوم على تقويم كل ماخرج عن الطريق المستقيم سوءا من الناحية الأخلاقية ، أوالاجتماعية.

إن السلطة الانضباطية تقوم على شبكة تراقب كل جوانب المجتمع عن طريق المصحات، المدارس ،الأيتام والجيش .كما قامت السلطة بتبرير العقوبات الجسدية، واعتبروها نوعا من القصاص، فقامت بتجنيد رجال الشرطة لمعاقبة المنحرفين والمجرمين، أي أنها سخرت كل ماتملك من قوة لتسلط العقاب عليهم ،وتبريره بمختلف الوسائل .أما في العصر الحديث فنجد القاضي الذي يصدر الحكم إلى رجال الشرطة الذين يبدعون في خطط التأديب داخل الزنزانات المظلمة ،أين فقد المسجون حتى اسمه، وهذا ما أثار حفيظة فوكو الفلسفية، فقام بدراسة وتنقيب عن هذا الكائن الذي يبدو حاضرا في الوجود، ولكنه غائب في المجتمع ،موجود كجسد يُطبق عليه التعذيب والإقصاء.

[1]- ميشال فوكو ،المراقبة والمعاقبة، ،ص،36

لم تكتف السلطة بحجز المجنون، وإنما فكرت في وضع خطة للاطلاع على أحواله داخل السجن ،فأسست مايسمى بالحركة الاستعلامية حول السجون في 1971 ،فجعل حياة المسجون مرتبطة برزنامة صارمة، فكل تصرف أو سلوك يصدر عنه يكون في الوقت المناسب،وفي هذا يقول فوكو "الخامسة صباحا وقت الاستيقاظ ...على الساعة الثانية عشرة وقت تناول الغذاء ...في الحادية عشرة وقت العشاء..."[1] ومن هنا يمكن القول بأن المسجون ليس حرا في سلوكه ،فكل شيء مضبوط بالوقت ،وهذا النوع من الانضباط يترك أثرا عميقا في نفسية المسجون حتى بعد خروجه من هذه المؤسسة ،كما أن السجن لم يكتف فقط بتأديب المساجين ،وإنما قام كذلك بزرع الخوف في نفوس الأفراد المتواجدون خارج أسواره، لكون هذه المؤسسة تحمل الإبهام والغموض.

لكن هذه المؤسسة التي تبدو لنا أنها تحكمت في زمام الأمور، كجهاز قوي للمراقبة لا تخترقه حتى القوانين الإنسانية، كما أهملت أحوال هذا الشخص الذي هو عصر أساسي في خلق هذا الجهاز، وإهماله لم يزد إلا في تأصيل الجرائم في قلب المجتمع، وبالتالي فشله في مهمته، بدل أن يقوم بمحاربة الجريمة زاد في عددها ،ومن ثمة مضاعفة الإجرام، وهذا ما جعل فوكو يقول في نقده لهذه المؤسسة "لا يتوقف السجن عن إنتاج المنحرفين وذلك عن طريق نمط العيش الذي يعشوه داخله"[2] .

المعاملة القاسية مع السجناء، وتشديد الرقابة عليهم يتولد عنه صعوبة الاندماج، لكونه كبت كل رغباته وأحاسيسه، ومزقت كل آماله، ومن ثمة يصبح كارها وحاقدا لكل ماله علاقة بالسلطة والقانون. السجن لا يحتوي فقط على المجرمين الذين قتلوا أو سرقوا، بل نجد فئات كثيرة، ليس السجن مكانها ،كالمختلين عقليا، والشاذين جنسيا، والفقراء، لذا فيمكن القول بأن السجن مؤسسة هشة قابلة لنقد، وفي هذا صرح فوكو قائلا"السجن في الحقيقة لا يصلح أحد ،أنه سيرجع بلا انقطاع نفس الأشخاص"[3] أي أن السجن ماهو إلا وسيلة استخدمته السلطة للوصول إلى

[1]- ميشال فوكو ،تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي،ص546
[2] جيجقة براهيمي ،حفريات الاكراه في فلسفة ميشال فوكو ،ص77
[3] دروس ميشال فوكو،(1970 – 1982)،ص29

غايتها، فحاولت أن تظهره كمؤسسة إصلاحية تهتم بحياة الفرد ،ولكن في حقيقة الأمر عكس ذلك،كما أن السجن تأسس لإصلاح الفرد وجعله مندمجا في المجتمع مثله مثل الآخرين ،لكنه فشل في أداء مهمته، وإعادة إنتاج نفس الأشخاص ،إن لم نقل يساهم في تطوير تقنيات الإجرام ،وتعليمه آليات أخرى أكثر خطورة على المجتمع، إذن مقولة مركز إعادة التربية ماهي إلا تمويه سخيف قام به القانون الجزائي ،وبالتالي الحضارة الغربية قامت بإبداع الخطط التأديبية داخل سجونها دون تدخل القانون ،الذي تتخذه كذريعة لاستغلال الفرد بأبشع الطرق.

الفصل الثاني

علاقة المعرفة بالسلطة

تعد المعرفة من بين المكونات الأساسية الداخلية المساعدة والمرتبطة بنشأة حضارة ما.وتعد من بين العوامل الكامنة وراء التجسيد الفعلي لها.إذ لا يمكن لسلطة أن تتأسس إلا إذا توفرت المعرفة بطريقة مكثفة،ولكن حين ندقق النظر نجدها لا تنفلت من الرقابة ،إلى درجة يكون صاحبها خاضع لنفس الضغوطات التي يخضع لها الشخص المنحرف ،وبهذا يمكن أن نقول أن المعرفة تمارس عملها ضمن شروط تحيط بها؛ وتعمل على توجيهها أو إلزامها، ذلك لكون السلطة تكون دوما حاضرة في مختلف الأماكن، حتى التي ليس من السهل أن يُنتبه وجودها وحضورها في المخابر، دور النشر ،قاعات المحاضرات، وهذا ما يبين العلاقة الوطيدة التي تنشأ بين المعرفة والسلطة. هذا ما حاول فوكو أن يوضحه من خلال اعتماده على المنهج الحفري ،من أجل إظهار المناطق الخفية التي تدور حولها المعرفة والسلطة وأدواتها، وشرح الطريقة التي يتم من خلالها يكون الصراع بينهما، وهذا ما يقودنا إلى طرح الإشكالية التالية:

ماهي طبيعة الإقتران بين المعرفة والسلطة؟وكيف ربط فوكو بين السلطة والعلوم الإنسانية (علم النفس،علم الإجتماع،والطب العقلي)؟.ما دفع فوكو إلى البحث عن العلاقة الكائنة بين المعرفة والسلطة هو استدراكه لما أهمله في إصداراته الأولى ،فسعى إلى إبرازه ، وهذا ما حاول أن يوضحه من خلال قوله"إني أسأل نفسي عما تحدثت عنه في تاريخ الجنون ومولد العيادة اللهم إلا على السلطة؟والحال أن لدي وعيا تاما، أني لم استخدم عمليا هذه الكلمة، وبأن هذا المجال من التحليلات لم يكن في متناولي، وأستطع أن أقول أن هنالك نوع من عدم الكفاءة، والقدرة، وكان مرتبطا بالتأكيد بالوضعية السياسية التي توجد فيها"[1].

أما النقطة الثانية التي جعلت فوكو يبحث في هذا المجال هو اعتقاده أن الذين سبقوه أو عاصروه بحثوا في عمل السلطة وانعكاساتها على الأفراد ،وأهملوا الجانب الأكثر أهمية المتمثلة في النظرة التحليلية العميقة ،التي تبين عمل السلطة، فكانت الرغبة منه إبراز هذا

[1] ميشال فوكو ،نظام الخطاب ،ترجمة محمد سبيلا،دار التنوير،بيروت،ص 60-61

الجانب، وقد صرح قائلا :"لم يفكر أ حد من قبل في تحليل عمل السلطة ،والبحث في كيفية عملها"[1].

فكان هاجس فوكو هو البحث عن العلاقة بين السلطة والمعرفة ،ونقد الكثير من الآراء فهو يلح على ضرورة التوظيف المكثف للتحليلات التاريخية وقد أكد ذلك من خلال قوله "لقد بدا لي لأنه في بعض أشكال المعرفة التجريبية كالبيولوجيا والاقتصاد السياسي والطب العقلي والطب...الخ تخضع وتيرة التحولات للخطاطات العذبة والاتصالية للتطور تلك التي ظلت مقبولة إلى الآن .إن الصورة الكبرى البيولوجية المتعلقة بنضوج العلم ما تزال تتطلب الكثير من التحليلات التاريخية ،وهي لا تبدو لي حاسمة تاريخيا ...كان هناك نوع من الخطابات قطعت تحولاته البطيئة في حوالي 25إلى 30 سنة ،لا فقط مع القضايا الصحيحة التي أمكن صياغتها إلى حد ذلك الوقت ...بجانب مجموعة الممارسات التي ظلت بمثابة دعامة للطب :وهذه ليست فقط مكتشفات جديدة بل هي عبارة عن نظام جديد للخطاب و المعرفة " [2] . تميز بحث فوكو في الكشف عن أساليب المعرفة لغاية التحصيل المعرفي وتوسيع دائرة ممارستها ،ومن ثمة هناك شروط لا يمكن الاستغناء عنها، لأنها هي التي تبين الوجه الخفي للغموض الحائط به،كما أنه كشف عن الأساليب التي تقوم عليها المعرفة لغرض إثبات وجودها، وتستعمل بعض الأنماط لممارسة عملها ،فقليلا ما ينتبه لها من الدارس، ونادرا ما يدرك بأنها تتوسع المعرفة كلها، زاد الحد من القمع ،ويعطي لنا فوكو أمثلة على ذلك من بينها الامتحان و التحقيق.

بدأ فوكو حديثه عن تداخل المفاهيم، الذي يقع لرأي العام في سياق تحليله لمفهوم المؤسسة خصوصا مؤسسة "الكوليج دي فرانس"، التي يؤكد فوكو أنها ليست مؤسسة تربوية

[1]– هاشم صالح ، فوكو فيلسوف القاعة الثامنة ص25.

[2]– ميشال فوكو، نظام الخطاب، ص57–58

،أوتعليمية ، وإن كانت غاية تأسيسها هو كذلك ،فلأنها تحولت إلى هيئة علمية تضطلع بمهمة البحث والتحصل، مقابل ذلك أجر مادي، أي ظروف العامة لهذه المؤسسة تستبعد أن نطلق عليها اسم المؤسسة بالمعنى الحديث لها، فهو لا يخضع لقوانين معينة تلزم تقديم تقارير عن الموضوعات المنجزة، أو توجه المستفيدين من الدروس نحو القيام بأعمال روتينية ،بل شعاره هو الحرية في الفكر، وفي العمل والحضور.أشار فوكو إلى المعارف الخاضعة باعتبارها معارف لم تصل بعد إلى مستوى المعارف المفهومة، فهي غير كافية ،وغير مشكلة مما يجعلها تحتل مرتبة دنيئة في السلم التراتبي للمعرفة، بالمقارنة مع المعارف المكتسبة، والمحققة التي تخضع لمنهجية وقواعد دقيقة.

إنّ المعرفة الخاضعة التي يطلق عليها فوكو اسم المعرفة المحلية حول الناس؛ هذه المعارف غير المؤهلة ،هي التي أدت إلى حدوث النقد الذي جسدته كتابات هذا الأخير، خاصة تاريخ الجنون. تولد عن الجمع بين المعارف المتروكة في الهامش والتي هي معارف الناس والمعارف الدقيقة والعميقة تشكل ما يسمه فوكو بالجينالوجيا، التي عملت على إنتاج أبحاث متعددة، هي فرصة لقيام باكتشاف دقيق لصراعات ،والذكريات الخاصة بالمعارك التي تخوضها ،في سبيل تطورها .إذن الجينالوجيا بالمعنى الفوكوي ماهي إلا نوع من المزاوجة بين المعارف الدقيقة، والذكريات المحلية، مزاوجة تسمح بتأسيس معرفة تاريخية بالصراعات مع تضفها أو استعمالها في التقنيات ،بمعنى الجمع بين المعارف المهمشة والتي نقصد بها المعارف التي تدور حول الناس ،والمعارف الدقيقة والعميقة والتي نقصد بها المعارف العلمية، أوما اصطلح على تسميته بالجينالوجيا التي عملت على إنتاج أبحاث من هذا النوع التي تتطلب كثير من البحث وفي هذا يقول "تتطلب الجينالوجيا إذن عناء معرفيا وعتادا من التراكم وصبرا"[1] ، فكما هو معروف أن فوكو فيلسوف المهتم بالقضايا المهمشة ،والتي إن مزجت بالمعارف العلمية تشكل ما يسمى بالمعرفة التاريخية ،وعدم الاهتمام بالذات يؤدي بنا إلى التخلص من الذات المؤسسة ،وبالتالي عدم تأسيس الجينالوجيا وصرح فوكو قائلا "علينا

[1] ميشال فوكو ،جينالوجيا المعرفة ،ترجمة أحمد السطائني وعبد السلام بن عبد العالي ،دار توبوقال لنشر ،طبعة الثانية 2008 ص63 .

ونحن نتخلص من الذات المؤسسة أن نتخلص من الذات نفسها ،أي التوصل إلى تحليل يمكن أن يأخذ بعين الاعتبار تشكل الذات ضمن النسيج التاريخي وهذا ما سأدعوه بالجينالوجيا "[1]

إن النشاط الجينالوجي لم يكن هدفه المعرفة بحد ذاتها أو المفاهيم المرتبطة بها ،بل هدفه هو نقد طريقة عمل الخطاب العلمي، الذي يتحول إلى إرادة ممركزة لسلطة ،والمنحصرة في إطار ما يعرف بالمؤسسة ،التي تعرفها المؤسسات الرسمية كالجامعات، والمدارس ،التي تدعي احتكار خطاب علمي رسمي له صلاحية التعبير. يحتكر كل مجالات المجتمع مثل التأثير في العلاقات النظرية، والتجارية مثلما هو الحال بالنسبة للتحليل النفسي، أو فرض إيديولوجية معينة على المجال السياسي، كما هو الشأن مثلا بالنسبة للماركسية،ومن هنا يدعو فوكو إلى جعل المهمة الأساسية للجينالوجيا، فرض معركة حاسمة ضد أثار السلطة الخاصة بالخطابات، التي ينظر إليها على أنها علمية، لتوضيح كيفية اشتغال الخطاب الجينالوجي على الخطاب العلمي.

قدم لنا فوكو أمثلة من صميم الحضارة الغربية ،التي شهدت مرحلة نقاش واسع ،وطرح العديد من الأسئلة أهمها ،هل يمكن اعتبار التحليل النفسي علما أم لا ؟هل النظرية الماركسية علما أم لا؟ وهذه الطريقة في طرح الأسئلة تثير حفيظة الجينالوجيين الذين يرون بضرورة اعتراض اعتبار الماركسية ،فهي يمكن أن تكون علما حقيقيا، وهنا لابد من ضرورة تعكس طريقة التساؤل، فبدل التحدث عن المقاييس، والمعايير التي تجعل من معرفة أو خطاب معين مماثلا للخطاب العلمي. وعليه فإن الأسئلة الواجب طرحها هي أنواع وأنماط المعارف التي تريدون إقصاءها، وتقرون بعدم أهليتها في وصف الخطاب العلمي.

أراد فوكو أن يصنع خطابا، نفهم من خلاله الغرض الحقيقي لتلك الذات التي يصدر عنها الخطاب ،سواء كان فردا أو مؤسسة ،وأن الانسياق وراء العبارات المجازية، والتصنعات

[1] ميشال فوكو، نظام الخطاب ص62

اللفظية التي تربط خطابات هذه الجهات، والتي تريد أن تخلق خطاب يتماشى مع سلطتها ومصالحها، دون الاهتمام بمقصد الخطاب البشري ،لذا يقدم فوكو دليله المنهجي في إنتاج النصوص، والخطابات العلمية، والمعرفية ،من خلال اعتماده على المنهج الأركيولوجي. طرح فوكو في ظل بحثه عن السلطة سؤالا، ماهي السلطة؟ يعرفها كما بلي"هي إحدى الوظائف الأساسية لتنظيم الاجتماعي للمجتمع ،إنها القوة الآمرة التي في حوزتها الإمكانية الفعلية لتسير أنشطة الناس بتنسيق المصالح المتعارضة للأفراد أو الجماعات بإلحاق تلك المصالح بإرادة واحدة عن طريق الإقناع أو القصر"[1] أي هي القوة التي تمتلك كل شيء في يدها ،هي التي تنظم المجتمع عن طريق القوانين التي تسنها ،ومحاولة التوفيق بين مصالح الناس المتضاربة والمتعارضة.

إن الغاية من مساءلة السلطة هي العمل على تحديدها من خلال الكشف عن آليتها، وآثارها، وعلاقتها بمختلف أجهزة السلطة، وهنا نجده يميز بين تصورين لظاهرة السلطة.كما أنه ربط السلطة بالخطاب، بل وأكثر من ذلك، فنوع الخطاب هو الذي يحدد السلطة، وفي هذا نجده يقول :"ونوعية الخطاب التي منها تتشكل السلطة لتنبث في الممارسات السلوكية الفردية والفرعية والدقيقة"[2]

- **التصور الليبرالي للسلطة**

التصور الماركسي لسلطة الذي يرتبط بالتنظيرات ذات الأصول الماركسية لظاهرة السلطة السياسية وعلاقتها بالبنية الاقتصادية للمجتمع ،نجده هنا يبرز القواسم المشتركة بين هذين التصورين، من خلال اعتماده على المفهوم الاقتصادي، في نظرية السلطة على اعتبار أن النظريات الكلاسيكية لسلطة ننظر إليها كحق يمتلك أو ثروة يمكن تحويلها ، والتخلي عنها بشكل جزئي، أو كلي، من خلال عقد يتفق عليه جميع أفراد المجتمع من أجل تأسيس سيادة

[1] عبد العزيز العيادي ،المعرفة والمصلحة ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت،الطبعة الأولى1994، ص43
[2] المرجع سبق ذكره، ص51

ودستور للمجتمع، قائم على التبادل العقدي ،ونقصد هنا العقد الاجتماعي، أمثال "جون جاك روسو" ،الذي يسعى إلى محاولة تأسيس مجتمع مدني قائم على حقوق المواطنين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، في ظروف يحقق نوع من التماثل بين السلطة، والأملاك أو بين السلطة، والثروة هذا من جهة ،ومن جهة أخرى ،فإن تحليل إستراتيجية عمل السلطة في التصور الماركسي، يقتضي ضرورة استحضار مفهوم الوظيفة الاقتصادية، عندما ترتبط السلطة بعلاقات الإنتاج ،بمعنى نظرية السلطة في التحليل الماركسي، ومن هنا نجد أن الاقتصاد مصاغا في الإطار التاريخي.غير أن تحديد نظريات السلطة في التصورين السابقين لا يسمح حسب فوكو تقديم تحليل علمي سليم، على اعتبار أن التحليل الجينالوجي يسعى إلى تحليل اقتصادي خال من أي ايديولوجية، وعلى هذا الأساس يقترح فوكو مجموعة من الأسئلة أهمها هل غاية السلطة خدمة الاقتصاد؟ وهل السلطة شيء يتم امتلاكه، والتنازل عنه بواسطة عقد أو قوة؟.ينطلق في الإجابة عن هذه الأسئلة من التأكيد على أن السلطة لا تعطى، ولايتم مبادلتها، وإنما تمارس، أي أن السلطة لا توجد إلا في الفعل والممارسة، الأمر الذي يجعلنا نبتعد عن الفكرة القائلة أن السلطة حصيلة للعلاقات الاقتصادية، رغم أنها في جوهرها تعبر عن علاقات قوة. وميز فوكو بين نوعين من السلطة بوصفها حرب، وبين السلطة بوصفها قمعا.

يقترح أثناء محاولته للإجابة عن الأسئلة السابقة الذكر جواب أولي ،فيعتبر السلطة كظاهرة قائمة أساسا على القمع، أي الخطاب الذي تنتجه السلطة قائم على القمع، والقهر والإقصاء ،وهذا مايؤكده من خلال قوله " (...) أنه ليس مجرد منع، بل هو إقصاء ،وإسكات وإعدام ما يجب قمعه ،بمجرد محاولة ظهوره"[1]، فالسلطة أنتجت برامج تسعى إلى قمع الغريزة (غريزة الفرد ،وغريزة المجتمع ككل) ،والتوجه إلى بعض الخطابات العلمية كخطاب ماكس فيبر، وإلى جانب ذلك نجد تحليلات فرويد، الذي يرى أن النسق الاجتماعي ككل يتعارض مع

[1] عبد العزيز العيادي،المعرفة والمصلحة،ص22

الغرائز الإنسانية ،وبالتالي من أجل الاندماج مع المجتمع يكون من المفروض على الأفراد كبت غرائزهم ،أي تعرضهم للقمع المتواصل، وهذا الخطاب القمعي تتخذه أغلب الخطابات المعاصرة بمختلف تجلياته. معتمدا في ذلك على الإطار التاريخي وفي هذا يقول " تحليل النظم الخطابية المحددة تاريخيا والتي تستطيع تحديد عتباتها وتعني شروط ظهورها وزوالها"[1] أما الجواب الثاني يقوم على أساس اعتبار السلطة هي الحرب المستمرة بوسائل أخرى ،الأمر الذي يعني حسب تحليله ثلاثة أمور أساسية :

أولها: علاقات السلطة الممارسة في مجتمع مثل مجتمعنا ،لها علاقة بالقوة في لحظة زمنية وتاريخية محددة. هذه العلاقة القائمة على الحرب بالحرب، إذن السلطة لاستبعد أثاره، وإنما تعمل على عدم التوازن الظاهرة في المعركة الأخيرة للحرب، أي تكون للسلطة دورا في إعادة تثبيت العلاقة من خلال نوع من الحرب الصامتة، المطبقة على المؤسسات، والأجسام.الفعل الذي يجعل السياسة مجرد معاقبة مستمرة تتواصل فيها التفاوتات في القوة الظاهرة في الحرب، أو الناتجة عنها .

ثانيا: على الرغم من مناشدة المجتمع لسلم المدني، إلا أنه لم تكف الصراعات ،والمواجهات عن انتشار سواءً في السلطة، أو خارجها ،الأمر الذي يجب أن ننظر إليه كحلقة ،وجزء أساسي من انتقالات الحرب من مجال لأخر ،مما يجعل التنظير لتاريخ السلم استدعاء بالضرورة لتاريخ الحرب وآلياته الرئيسة.

ثالثا:إن امتلاك السلطة على الحرب، يعني امتلاك سلطة القرار على اعتباره لا يصدر إلا عن طريق خوض حرب، تمكن من اختبار قوة السلاح في إطار معركة تمارس السلطة بوصفها حربا مستمرة. فرغم تعارض التصورين ظاهريا فهما مرتبطان، ومتشابهان في العمق، إذ ليس القمع نتيجة سياسية للحرب، مثله مثل الاضطهاد؟ .في النظرية الكلاسيكية، الحق السياسي هو تجاوز لسيادة في النظام القانوني.وضح في كتابه "إرادة المعرفة كيف أن

[1] عبد العزيز العيادي ،المعرفة والسلطة ،المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر ،بيروت ،الطبعة الأولى 1994،ص19

سلوك الإنسان ،أصبح موضوع للمعرفة ، وكيف تطورت سلوكات، خاصة الجنسانية منها في جوانبها الدنية والطبية والاجتماعية والأسرية، وكيف أثرت على الأفراد ، و رأى أن أحد لأخطاء الرئيسية التي أجريت لفك رموز العلاقة بين المعرفة ،والسلطة والجنس، وما الجنسانية إلا ذريعة للمعرفة بأي طريقة كيف أنتجت الخطابات السياسية في المجتمعات الغربية، وكيف نسبت لها قيمة الحقيقة التي كانت مرتبطة بمختلف آليات ،ومؤسسات السلطة.

كانت السلطة تمارس كآلية للابتزاز.ومن هنا شهد الغرب تحولا عميقا جدا حول هذه الآليات من السلطة ،ولم تصبح السلطة الآلية الوحيدة لممارستها ،ولكنها هي واحدة من الأدوات لزيادة وتعزيز القوات التي تخصها، إذن السلطة تهدف إلى إنتاج قوي، وتطويرها، وتنظمها بدلا من منعها، أو تدمرها ،فافتتح عصر السلطة الحيوية من جانب الانضباط ،والأمر يتعلق بمؤسسات ،مثل الجيش ،والمدارس، وانعكاساته على التكتيكات ،والتعلم ونظام المجتمع ،ومن جانب آخر تنظيم لسكان يتعلق بتقدير العلاقة بين الموارد، والسكان والحياة ومدنها المحتملة ،وهذه السلطة الحيوية كانت بلا شك ،واحد من العناصر الأساسية لتطوير الرأسمالية ،وإذا تطورت أجهزة الدولة ضمن الحفاظ على علاقات الإنتاج، وأساسيات علم التشريح السياسي، والحيوي التي ظهرت في القرن الثامن عشرة، كتقنيات سلطوية حاضرة.يؤكد فوكو ما قاله أرسطو أن الإنسان حيوان عائش له قدرات إضافية في مجال الحياة السياسية، أما الإنسان الحديث، فهو الحيوان الذي في سياسته هناك مسألة ما إذا كانت حياته معاشة.ربط فوكو المعرفة بالجسد (الجنس) وصرح في هذا قائلا "لم يعد الجنس شأنا شخصيا بل أصبح من اختصاص السلطة العامة ..."[1] أي أصبح الجنس ليس مسألة شخصية ،وإنما تتحكم فيه السلطة ،من خلال المراقبة اللصيقة للفرد، وبالتالي وجد الخطاب حول الجنس مثله مثل الممارسات العقابية ،يتأسس على الاستغلال الواعي للأفراد ،لذا يعد

[1] الزواوى بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ،دار النشر الهيئة العامة لشؤون المطابيع الاميرية ،ط 1999، ص274

فوكو من بين هؤلاء الذين أدوا دورا في زعزعة الثوابت الراسخة في مجال المعرفة،حيث تستخدم هذه الأخيرة كأداة للسلطة ،وتقنية تطوير نظم المراقبة، وتقنية الخطاب المعرفي في علم النفس، فهي سلطة لا مركزية، لكنها موجودة في مؤسسات مثل السجن؛ والمدرسة والعيادة؛ والثكنة منتشرة بفوضوية في كل الجسد الاجتماعي.

إن تحقيق السلطة وضيفته،ا لابد لأن تخطط أيضا تقنيات إيجابية لإدارة إمكانات الأفراد ،وتصنيع حياتهم وتمارس عملها خارجيا، من خلال الأثر الاجتماعي لوعود اللذة، وخطاب العلم والمعرفة ، وإن كانت الذات خارج السيطرة ستتهم بالخيانة، والجنون ومن ثمة يتم عزلها في السجون؛ والمصحات؛ وعليه فالسلطة تحسم الصراع من خلال علاقات القوة ،كما أن السلطة لا تكتفي بالسيطرة الخارجية على الأفراد فقط ، بل تكون من الجهة الداخلية كذلك، ومن ثمة تسمح هذه السيطرة على خلق الإنسان وفق متطلبات السلطة ،فخلقت مؤسسات الطب النفسي ،والممارسات العيادية. وهذا النوع من السلطة ،هي سلطة ذات طابع إيجابي، لأنها سلطة نابعة من الذات، حتى وإن تشكلت من الجهة الخارجية في الجسم الاجتماعي، من خلال خطابات معرفية مستهدفة لغاية معينة معدة مسبقا، وعليه فان السلطة تستخدم المعرفة كذريعة لتصنيع الحقيقة.

تحدث فوكو عن السلطة الحيوية ،التي تعد من أهم أنواع السلطة الإيجابية ،لأنها السلطة التي تهتم بالحاضر، ويُنظر إليها بعيون الراهن ،وهي السلطة التي تهتم بالجسد ،ومحاولة تكيفه مع السياقات الاقتصادية، وعرفها فوكو كمايلي "هي السلطة التي لم تعد تحدها صورة القانون، والموت ،بل هاجسها ورهانها الحياة ،والأحياء ،تدير الحياة وتخضع الأجساد من خلال التشريح السياسي للجسد الإنساني والسياسة الحيوية لسكان "[1] ومن هنا يمكن القول بأن السلطة الحيوية تهتم بالحياة الإنسانية الآنية التي تعتمد على سياسة الجسد. كما بدأت السلطة تؤسس سيادتها على الاستثمار، ولهذا يجب ترويض القوى، وتوزيعها أي النظر

[1] عبد العزيز العيادي ،المعرفة والسلطة ،ص56

للجسد كآلة للإنتاج الاقتصادي،كما اعتمدت السلطة الممارسات الإعترافية في الطب النفسي لتحقيق التحكم في الفرد، كما أن السلطة الانضباطية هي الوجه الآخر لسلطة الحيوية ،التي تكمن في مراقبة الجسد ونشر الاعتقاد حول الجنس، فهو من أهم الأدوات السلطة الحيوية من تدريب وتربية وتنظيم لسكان.

لقد أعطى فوكو للحقيقة اسم جينالوجيا، وهذه الأخيرة هي التي تسمح للفلسفة أن تلتقي بالتاريخ، وجعل هذا الأخير هو الذي يتحكم في الجسد، وهذا ما نجده في قوله"الجينالوجيا باعتبارها تحليلا للمصدر تجد نفسها في حال تلاحم مع الجسد والتاريخ ،عليها أن تبين أن الجسد ينقشه التاريخ ويخربه التاريخ "[1] كما أن الجينالوجيا لا تهتم بالبحث في الأصل الأول الذي صدرت عنه الموجودات ،بل تبحث عن هذه الأصول وما يربط به من منافع ومصالح ،وعليه فالجينالوجيا هي تاريخ للحقيقة،وهذا يعني التاريخ الذي يريد أن يقوم به الجينالوجي يهدف إلى بيان أن الأحداث التاريخية تجد تفسرها الحقيقي في تحديد طبيعة الحقيقة ،التي تشكل مادة التاريخ ،فنجد الإنسان مثلا يشتغل ،يرغب، يحب يتكلم ،فهو يشكل تاريخه الخاص، ومن ثمة يجد نفسه محاطا بنوع من الحقيقة، والتي تتجسد في ممارسة تخص تاريخه، وعليه ما يهم الجينالوجي هي مسألة سياسة الحقيقة ثقافة أوحضارة ما التي تحدد هويتها.

يدفعنا هذا إلى القول بأن فوكو ركز اهتمامه في أبحاثه التاريخية على الإنطلاق من القضية الراهنة، فهي المجال الذي تحدد فيه الحقيقة ،ولهذا فإن الحديث عن فوكو المؤرخ، نجده من خلال خطابه الفلسفي يدعو إلى التعامل مع الفلسفة، وقضاياها تعاملا يؤكد إمكانية تغيرها وتحولها،فالحاضر بالنسبة لفوكو هو تعدد وتشتت ،ومن ثمة فالحقيقة هي ما يقع في الحاضر، وعليه فإن الفلسفة التي يدعو إليها هي حصر الحقيقة في التاريخ ،وهو الذي يميزها ،ويحددها فالحقيقة بنيت قطعة، قطعة، من التاريخ، وبالتالي فهي توجد في عقل

[1] ميشال فوكو ،جينالوجيا المعرفة ،ترجمة احمد السطائي وعبد السلام بنعبد العالي ،دار توبقال لنشر ،الدار البيضاء ،ط2،2008 ص71

الفيلسوف "ولا في عجزه عن الإبداع والخلق".[1] عندما يجعل فوكو من الحقيقة شيئا تاريخيا، وما يعمل على التأكيد عليه ،هو أن التاريخ هو القادر أن يجعلنا نفهم لماذا تم الرفع من مكانة قضية ما، ولماذا تشكل القيمة الأساسية، إذن الفيلسوف المؤرخ ،لا يؤسس الحقيقة من تأملاته بل الإهتمام بما يقع فعلا، وما مارسه الناس، فالماضي لا يمضي، والحاضر لا يحضر إلا لكون الحاضر، والماضي يحدد ويخدم الآخر ليس كعلة ، بل كمبدأ يجعل لكل واحد منهما أصوله في التاريخ، فالحاضر هو تحويل للماضي، وبراي نتشه إنها العودة للماضي بشكل جديد ،لهذا لم يكتفي فوكو بالدعوة إلى ممارسة البحث التاريخي ،بل عمل على إنشاء حفريات يكون همها البحث ،والتنقيب عن النصب الأثرية التي تركها الماضي ،وخلفها التاريخ كشاهد عليها، عن طريق دراستها وتأويلها، والتأويل عنده ليس الوقوف عند المعنى الخفي، والمتستر بهدف الكشف ،وإظهار الحقيقة العميقة، وإنما يعني إبراز الممارسة التاريخية، التي لا تنفصل عن الحدث الذي تم الحفر، والبحث عنه.

تأثر فوكو بنتشه، في عدة نقاط وفي هذا السياق نجده يعترف قائلا "أنا ببساطة نيتشوي أحاول بقدر الإمكان أن أرى بخصوص عدد من النقاط –بمساعدة نصوص نتشه–"[2]، ومن أبرز هذه النقاط علاقة الحقيقة بالسلطة، وطبقها على موضوعات التي لم يكن تاريخ الفلسفة حافلا بها ،إذن ما يدعوه فوكو حقيقة ،هو نتاج لصراع القوى، لهذا يقول بأن التاريخ "تاريخ الصراع"[3]، فحين يلتقي فعل بفعل آخر ينتج عنه صراع القوى، لهذا من العبث إقامة تاريخ للحقيقة، دون الاهتمام بصراع القوى ،فما يسمى حقيقة ماهو إلا تجسيد لقوة انتصرت على أخرى ،وبالتالي فإن السلطة هي هيمنة ،وسيطرة قوة على أخرى، فعند فوكو الحقيقة لا تبقى ثابتة وأزلية، فما يعتبر حقيقة يمكن أن ينقلب ،ويتحول إلى ما يناقضه ،وهذا ما يظهره تاريخ الحقيقة..إن الحقيقة تتأسس قطعة ،قطعة ومن عناصر متباينة ،ومن هنا يظهر أن فلسفة

[1] – المصدر نفسه ،ص82

[2] السيد ولد أباه ،التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو ،دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ،ط1، 1994،ص69

[3] المرجع نفسه ،ص70

الحضور لا تعير اهتماما للبعد الإشكالي(الإشكالية المطروحة) ،الذي بدونه لن يكون التاريخ سوى سرد للأحداث، وعلى خلاف هذا،فإن "التاريخ الاركيولوجي"[1] لا يتم الكشف عنه بهدف إبراز أهميته إلا انطلاقا من طرح إشكالي فيجعل الفيلسوف يركز في تاريخه على إظهار شروط.إن التاريخ الاركيولوجي لا يبرز للمؤرخ الحقيقة، والوقوف عند الحدود والأزمات والكوارث، باعتباره علامة بالنسبة لمؤرخ الحقيقة ،لهذا نعتقد أن اهتمام فوكو في مرحلة الحفريات يجد تفسيره في جينالوجيا الحقيقة ،لأن حديث فوكو عن المبادئ القبلية التاريخية؛ وعن النسق وعن الابستيمى يتبين أن الهم الذي شغله ،هو كيف تنشئ معرفة علمية حول الإنسان، فما أبرزه فوكو تحت اسم تشكيلات المعرفية هو علاقة السلطة بالمعرفة .إن العبارة التي شكلت موضوع حفريات المعرفة ،سواء كان الأمر متعلق بحفريات المرض، أو حفريات العلوم الإنسانية، التي لها علاقة وطيدة بسلطة الحقيقة ،وبرز هذا بشكل واضح في فلسفة فوكو ،لارتباط العبارة بالندرة ،واهتمامه بهذه الأخيرة ،وهذا ما نجده في قوله"إن الحدث الأساسي لفوكو ليس الخطاب ولا البنية ولا القطيعة بل هو الندرة"[2]

نفهم مما سبق أن انتقال فوكو من الأبحاث التي قام بها في كتابه "المعاقبة والمراقبة"إلى الأبحاث الجنسانية مشروع ،وممكن.ما دفع فوكو لتاريخ الحقيقة ،هو إبراز الشروط التي تتكون فيها الذات ،أي الشروط الوضعية التي يتخذها الإنسان ضمن ما هو حقيقي ككائن يمارس مختلف وظائفه ، فالذات ليست واحدة في التاريخ ،وإنما تتشكل ،وتتطور اعتمادا على وعيها ،فالحقيقة تتشكل انطلاقا من الذات ،وفي هذا السياق يقول "فالحقيقة يتم النظر إليها من خلا ل تجارب الذات المختلفة"[3] ، فالذاتية إذن مرتبطة بالشروط التاريخية التي توجد ضمنها، وبالتالي ما يريد فوكو أن يجيب عليه، هو معرفة كيف أنه في لحظات

[1] المرجع سبق ذكره،ص76
[2] السيد ولد اباه ،التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو ،ص78
[3] المرجع نفسه ،ص91

تاريخية مختلفة تصبح الذات موضوعا للمعرفة ،و من ثمة فإن ما يقوم على تناول تاريخ الذاتية، من خلال التقسيم الذي يقام داخل المجتمع باسم الجنون ،والمرض، والإنحراف.

إذا أرجعنا إلى الكيفية التي عالج بها فوكو تاريخ الذاتية ،فنلاحظ أن اهتمامه بالذاتية في إطار تأريخه للحقيقة يهدف إلى إبراز النقط، والأماكن المتعددة التي تؤدي إلى تشكيل حقيقة الذات، لأن نمط وجود الذات ليس واحد. وما نريد أن نؤكده ،هو أن فوكو اهتم أساسا بشكلين من أنماط حقيقة الذات ،ويتمثل الشكل الأول، في خضوع الآخر للذات ،ويتميز بالإقصاء والهيمنة ،وفي هذا المستوى تظهر الحقيقة ،إنها ما يأتي من الخارج، وتكمن أهمية هذا المستوى عند فوكو لكونها سمحت له أن يؤسس إطاره النقدي، والتفكيكي في البحث عن الحقيقة ،وإبراز أشكال الهيمنة التي مورست على الفرد المقصى، باعتباره كائنا ليس حقيقي (السجين و المجنون) ،أما الشكل الثاني، فيتعلق عند تأسيس الذات حقيقتها، وجعل الذات لا تخضع إلا لذاتها ،ولا تقيم الحقيقة، إلا من خلال نفسها، ويمكن أن نستنتج من خلال الشكلين، أو المستويين عدم انفصال أو ابتعاد الحقيقة عن الصراع ، لكون السلطة هي التي تتحكم في الذات في جميع الميادين، وفي هذا يقول"...ثم إن تجارب الذات هي دائما تجارب السلطة تمارس على ذات أخرى، أو تمارسها الذات على نفسها "[1]، بمعنى أن السلطة تعمل دائما على مراقبة الجسد الذي ظل يشكل مركز الاهتمام حول الأعضاء ، وذلك بالتحكم فيه اقتصاديا وسياسيا . ،من خلال ما سبق يبرز فوكو أن المجتمعات الحديثة التي هي مجتمعات الانضباط، حيث تسعى السلطة إلى التحكم في أعضاء الفرد ،وتحديد قيمه، وكل حركة من حركاته ،وهذه المسألة تجعل طريقة التحكم في الجسد ،في المرحلة المعاصرة، وتختلف تجربتها في المجتمعات المختلفة (العبودية، الإقطاعية...).

يبرر فوكو التواطؤ بين السلطة، والمعرفة خاصة عند تناوله لمسألة الرغبات، خاصة الجنسية التي تخضع لتحرص قوي من طرف السلطة ،الأن موضوع الرغبة لم يبق موضوعا

[1] السيد ولد اباه ، تاريخ الحقيقة لدى ميشال فوكو ، ص91

متعلق بالفرد ذاته، بل أصبحت المصلحة العامة تتوسط هذه العلاقة ،وشحن الرغبة بدمجها داخل المجال السياسي، وفي هذا يقول "الرغبة في امتلاك الجنس، والوصول إليه واكتشافه وتحريره ،وجعله ساريا في الخطابات وصياغته كحقيقة ،وهو يشكل فعلا هذا القران بين القانون ،والسلطة ،وما جعلنا نعتقد أنّا نؤكد حقوق جنسنا في مواجهة كل سلطة"[1] بمعنى أن السلطة سعت جاهدة في قمع ،وكبح رغابات الإنسان ،فعلى الدولة إذن أن تكون على علم بما يفعله الناس برغباتهم، مستخدمة في ذلك آلية الاعتراف المعروفة في المجتمعات المسحية، أين تكون الدولة على علم بكل شيء. وهكذا حاول فوكو أن يبرر أن الحقيقة ناتجة عن مجال الصراع ،والحرب وبالتالي الخضوع والهيمنة ،أي أن الحقيقة خاضعة لصيرورة التاريخ فالحقيقة خاضعة لتاريخ .وأراد فوكو من كل هذا أن يبين لنا كيف أن الحقيقة مرتبطة ارتباط وثيق بالتاريخ ،والعودة إلى الماضي من أجل بناء الحاضر. فوكو نجده دائما يعود إلى الماضي من أجل التحليل ،والخروج بالنقد من هذه الأحداث، لذا نجد فوكو يربط الحقيقة بمسألة الأخلاق، فهذا المجال ليس بعيدا عن السلطة، فالسلوك الذي يسلكه الفرد هو سلوك محاط بالسلطة. فالأخلاق التي يود فوكو أن يهتم بها في إطار تأريخه للحقيقة، هي علاقة الذات بذاتها ،وتأكيد الطابع الذاتي للحقيقة ،ما دفع فوكو إلى القول " لا وجود لسلوك خلقي لا يستدعي تكوين الذات لنفسها، كذات أخلاقية ،ولا سبيل لتكوين الذات، دون أنماط تنشئة ذاتية"[2] بمعنى لا يمكن الفصل بين الذات، والأخلاق.إذن التاريخ الذي يود فوكو أن يكتبه ،هو تاريخ الاختلاف انطلاقا من الذوات مختلفة باستمرار، وتحاول أن تختفي تاركة فقط النسخ ،لذا ما ندعوه تاريخا هو مجموعة من التحولات المختلفة الأصول،وما يعطي أهمية لبحث فوكو التاريخي هو انطلاقه من الثني، والطي ،وهو تنقيبه وبحثه المستمر عن القوى،فعندما تدخل قوة في علاقة مع قوة أخرى تتشكل الحقيقة لأن ما يقع في التاريخ هو أن القوة المهيمنة تستولي على القوة المسيطرة عليها، بمعنى أن الصيرورة

[1] ميشال فوكو ،المعرفة والسلطة،ص31
[2] السيد ولد اباه ،تاريخ الحقيقة لدى ميشال فوكو ، ص211

التي يعرفها التاريخ هو اختفاء حقيقة ما تاركا المجال لظهور حقيقة أخرى.يمكن الفهم من خلال تحليل فوكو ،أن الاهتمام بكيفية تتبع الفرد حول السلطة التي تقيم سياجا من الضبط والمراقبة ،أي أنها تقيم جدارا للفرد من أجل فرض المراقبة والسيطرة على سلوكه. لعل أهمية التأريخ الذي قام به فوكو للحقيقة، يكمن في كونه لم يكتف بالقول بأن هناك إرادة حقيقية وراء حقيقة أخرى، بل عمل على الكشف عنها في حفرياته انطلاقا مما وقع.والسؤال المطروح هنا ما هي أهمية البحث الذي قام به فوكو؟ وماذا يريد أن يثبت ؟يظهر أن فوكو ،وهو يتابع إرادة القوة التي تحكمت تاريخ الغرب لا يريد أن يقول كل شيء عن جسدهم، حتى يتمكنوا من التحكم فيهم .كما أنه أراد أن يبرز ومن خلال استناده إلى التاريخ ،وأحداثه كيف تشكلت الهوية الغربية ،وأن هذا النقد لهذه الهوية بهدف تفكيكها . بدأ مع نتشه ،وأن الحضارة الغربية ،باعتبارها حضارة الحداثة ،بدأ مشروعها الحضاري يعرف انتشارا كونيا ،وأن هيمنة التقنية التي تحدث عنها هايدغر ،لم تعد تنحصر آثارها في الغرب بل امتدت إلى المعمورة بأكملها ،وأن الأسئلة الأساسية بالنسبة للغرب تكمن في إعادة وضع أسس جديدة لتاريخه، ونعني بذلك وضع أسس تمكن الغرب من أن يندمج مع الحضارات الأخرى. وهذا يجعلنا نفهم لماذا فوكو لم يعمل إنتاج خطاب فلسفي كوني ،ويجعل الغرب يحتل الصدارة كما أنه أراد أن يقيم تاريخا للخطاب وليس لشيئ اخر وهذا ما نلمسه من خلال قوله: "إقامة تاريخ للخطاب وليس للفكر"[1] وتعلقه بجهات؛ ومقاطعات معينة، وبهذا نجد فوكو يعيد للحقيقة معنى بعد أن أعلنوا عن نهاية الفلسفة، وموت الميتافيزيقا وذلك بدراستها في إطار التاريخ.إن تعدد المصادر المعرفية التي تداولتها فلسفة فوكو، كاد يفلت من قبضة الإشكاليات التي تحيط الفضاء الزمني؛ واخترقت المجال المعرفي، فكان الهم الذي شغل بال فوكو منذ أن كان متربصا في مستشفى "سانت آن"للأمراض العقلية؛ والذي تجلى في إشكالية البحث عن ماهية القوة الطبيعية؟، ونوع السلطة التي تضفيها على من يمارس الطب. والحقيقة أن فوكو لم يكن ليشغل الفكر الإنساني لو لم يجرؤ على إعلان موت الإنسان

[1] عبد العزيز العيادي ، المعرفة والسلطة ،ص19 .

كإمكانية منفتحة على المستقبل ،وولادة الإنسان من لحم العلوم الإنسانية ،التي تسعى إلى إخضاع الإنسان إلى التحليل العلمي بغية معرفته.

قام فوكو بوصف التمثيلات العميقة ،التي تشكل من خلالها المجتمع الغربي عبر الممارسات المؤسساتية، وعلى رأسها المؤسسة الجامعية التي تولت إنتاج خطاب يتماهى مع الحقيقة بشكل يجعل أي انتقاد له انتقاصا من شأن الحقيقة،فكل نظام تربوي هو توجيه سياسي، يرمي إلى المحافظة، أو التغيير في طبيعة من يملك حق إصدار الخطاب؛ وما يصاحبه من معرفة وسلطة. وكان أهم مجال لفت انتباه فوكو بحكم اختصاصه في علم النفس التجريبي ،ومخالطته للفضاءات العقلية ،هو عالم الجنون كفضاء نموذجي لمتابعة آليات الإقصاء، والتهميش الممارسة على مستوى الخطاب الطبي ،لكن هذا لا يعني أن السلطة تأثرت بالعلوم التجريبية فقط ،وإنما نجد العلوم الإنسانية؛ وفي هذا نجد فوكو يقول"الشيء الذي أدهشني خلال دراستي للعلوم الإنسانية هو علاقتها بالسلطة أنه لا يمكن الفصل بين نشأة هذه المعارف وممارسة السلطة لعملها"[1].

- **علاقة السلطة بعلم النفس**

لقد أعطى فوكو مفهوما آخر لسلطة ،بعد أن كانت تعني القمع ،والحرمان والعقاب والاضطهاد، أي أنها ظاهرة سلبية؛ ولكنها أيضا تعني الإنتاج، ولعل هذا التعريف ما آتى به به فوكو في مجال النظريات المتعلقة بالسلطة؛ والتي عادة ما تجعل منها وبشكل حصري معادلا للقمع والهيمنة ،أي أراد فوكو أن يزيح مفهوم الهيمنة على السلطة ،فهو يرى أن السلطة لا تعني فقط منظومة للهيمنة ممارسة من طرف عنصر؛أو مجموعة، حيث تظهر انعكاساتها على كل الجسم الاجتماعي ،فهو يعتقد أن تحليل السلطة يجب أن لا ينطلق من معطيات مبدئية تنحصر في فكرة القوة والهيمنة، ويؤكد أن السلطة هي أبعد ما تكون عن أي

[1]– هاشم صالح، فيلسوف القاعة الثامنة ، ص 39.

بنية ثابتة ،أي يعطي لها صفة الديناميكية ،فهو يبدع ويتحرك ويؤثر ،فهو ينتج علما وممارسات فعلية واقعيه ،وأنماط حياة مختلفة فالسلطة إذن حسب فوكو ممارسة دائمة للإستراتيجية متحركة، فالسلطة هي نظام حكم، والحكم لا يرتبط فقط ببنيات سياسية وتسير دولة، ولكنه يعني أيضا طريقة توجيه السلوك الفردي وهذا مانعني به علم النفس.

إن كل معارضة لسلطة ليست بالضرورة معارضة لنظام الحكم بل ، هي ممارسة يتبنها الفرد اتجاه المجتمع ككل ،ولكن هذه المواجهة هي مفتعلة ،وسطحية لتبقى السلطة متحصنة من ورائها، وسعي السلطة إلى استرداد كل خطابات المعارضة، وجعلها في خدمتها ،لذا فوكو يقترح مجاوزتها بدل مواجهتها ،والسلطة في نهاية المطاف لم تعد تفرض على الفرد فرضا ،وإنما هي صيرورة تصوغ الفرد ذاته ،فأصبح هم فوكو يتمثل في كيفية التخلص من السلطة ،وخلصوا إلى السبيل الوحيد؛ وهو التحكم في الذات ،وفي هذا السياق صرح فوكو قائلا"إن الحكم يتطلب التحكم في الذات وفي رغباتها ،وهذا الفهم الجديد لذات هو الذي أدى بفوكو إلى تعديل فهمه لسلطة "[1] والتزام سلوك يفرضه هذا التحكم بعيدا عن السلطة الخارجية ،وهذا ما جعل فوكو يبحث ،ويحفر في المعارف السابقة التي اهتمت بالذات، والاعتناء بها مما أدي إلى الانفتاح على الثقافات الغير الغربية.وأول انفتاحه تجلى في إعجابه بالبوذية التي من أهم تعالمها المقدسة العناية بالذات ومواجهة معارفها ومخاوفها وصراعها .

حاولت الممارسات البوذية إنشاء القواعد الانضباطية ،لأن ذلك من شأنها أن يبرز طريقة تشكل ذهنية الفرد، فسعوا إلى تجاوز الثنائية (الجميل ،القبيح،الصواب ،الخطأ) التي تساهم في فصل الأنا عن العالم الخارجي ،وبقي هاجس علاقة السلطة التي تربط الإنسان بالعالم الخارجي. فانتبه فوكو إلى وجود علاقة بين الجسم ،والروح من جهة ؛ و بين الجسم و العالم الخارجي من جهة أخرى. وهذا في سبيل التحكم في الذات للتحرر من سلطة العالم الخارجي ،وكل هذا سعيا منه إلى إدماج الفئات المهمشة اجتماعيا ،كالشاذين جنسيا

[1] الزاوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ، ،طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، 2000،ص،299

والعمال المهاجرين.كما انكب على الثقافة اليونانية ،والرومانية؛ بحثا عن معرفة الذات عبر الاهتمام بها. وأول ما لفت انتباهه هو تولي سقراط مهمة دعوة الناس إلى الاهتمام بذواتهم ،وهذا ما يبين لنا أن فوكو اهتم بذات لتوضيح العلاقة الموجودة بينها، وبين السلطة. أي كيفية استخدام السلطة، واستغلالها الفرصة لظهور هذا العلم، وتبيان عدم كفاءة الذات في التفاعل مع المحيط الخارجي، لذا يجب الاهتمام بها ، ومن ثمة زجها في المستشفيات بحجة المعالجة ،ولكن هذا ظاهريا؛ وإنما في الحقيقة هدفها القضاء عليها خاصة هؤلاء الذين يزعجونهم ، فما المرحلة العقابية التي مر عليها الإنسان بكل كيانه (الجسد والنفس) إلا تأكيدا لفشل الحضارة الغربية ،ففي الفترة التي يتغنون بظهور مدارس علم النفس التي تهتم بالفرد خاصة من الناحية النفسية؛ والثورة التي أحدثها فرويد في هذا المجال.ومحاولته لدراسة نفسية الإنسان والاهتمام به في الوقت نفسه، كان الفرد في العصر الحديث يعاني من الظلم والعقاب، والتسلط، والقهر في المؤسسات العقابية بكل أنواعها (السجون،المدارس،الثكنات،المستشفيات).

عانى الفرد الإقصاء؛ والتهميش وزاد من فوق ذلك العقاب ،فيكون بمثابة هيكل ينتظر لحظة موته ،وبالتالي فهو كيان محطم من كل الجوانب، لاسيما الجانب النفسي بالإضافة إلى الرقابة المشددة ،والمسلطة عليه، فهو حاضر في الوجود ،ولكنه غائب في المجتمع كذات لها حقوق في الحياة واختيار مصيره، بل أكثر من ذلك جرد حتى من اسمه. وتحول إلى مجرد رقم تسلسلي ينادى به، فحياة السجين مرتبطة ومرهونة بوقت مسير ومحكم وهذا مانجده من خلال قوله"يدلي الفقراء ،والعمال، والخدم باعترافات مرة واحدة على الأقل في الشهر ، وفي الحفلات الكبرى، في التاسعة والنصف يعود كل الفقراء إلى الكنيسة للصلاة ...في الرابعة يجب أن يكون كل شيء قد انتهى..."[1] ، فالمحتجز ليس حرا في حياته وسلوكياته؛ بل هو مضبوط بالوقت، وهذا كله يترك أثرا عميقا على نفسية المسجون فهي

[1] ميشال فوكو، تاريخ االجنون في العصر الكلاسيكي،ترجمة سعيد بنكراد ،ص546

نفسية محرومة، مضطهدة ،مقيدة في النظريات النفسية ، ومدارس علم النفس الموجودة في المجتمعات الغربية، ماهي إلا قناع تختفي وراءها السلطة ،من أجل التحكم في الفرد بطريقة صارمة.فإذا كانت الغاية الظاهرية لهذه المؤسسات إعادة إدماج الفرد بعد انقضاء فترة سجنه فإن الحقيقة تثبت العكس، يجد صعوبة في الإدماج نظرا لسوء المعاملة؛ والإكراهات التي تعرض لها من مختلف الجوانب. وبالتالي هذا الفرد يجد نفسه كذلك منعزلا مرة أخرى في المجتمع، أي عمل السجن على إنتاج ذات مريضة مهمشة في شتى المجالات، مخفي في داخله مكبوتا ته؛ورغباته؛ وأحاسيسه؛ وقتل كل ماله علاقة بالأمل، ومن إنتاج ذات حاقدة على كل ماله علاقة بالسلطة، لأنه يعرف أنها من وراء كل ذلك التي تدعي مصلحة الفرد ولكنها في الحقيقة لا تتحرك ساكنا إلا ومصلحتها من وراء ذلك ، كما عمل فوكو على نقد المؤسسات العقابية خاصة السجن، باعتبارها المؤسسة الأولى التي تحيل إلى العقاب والتأديب، وباختصار فإن فوكو فضح سياسة الحضارة الغربية، وما فكرة التحضر والتقدم الطبي والنفسي إلا فكرة زائفة . واستعملت مقولة علم النفس كحجة لمختلف الاختراعات التي تدنس كرامة الإنسان؛ وتجرده من إنسانيته؛ والتلاعب بالألفاظ، والمصطلحات،ذات سوية وذات مريضة، مما أدى إلى ولادة المجنون ،والشاذ الذي يعتبرونه بمثابة وحش بشري ،ومن بين الأشخاص الغير القابلين للإصلاح ،وفي هذا يقول"إن الشاذ القرن التاسع عشرة، إضافة إلى كونه وحش متعارف عليه باهتا، ينحدر أيضا من أولئك الأشخاص غير القابلين للإصلاح اللذين ظهروا على هامش التقنيات الحديثة لتقويم"[1] .

تكتسب سلطة المعرفة التي تعمل على تبرير ممارستها التي تتمكن من خلالها من فرض نفسها كأداة للخضوع، وتشديد المراقبة ،والتي بدورها تؤثر على نفسية الفرد؛ ومن ثمة تتمكن السلطة من كونها الوحيدة التي لها الحق في التصرف فيها، كما بين كيفية تلاعب الأطباء النفس بأفكار هؤلاء الذين يد عون على أنهم مختلين عقليا. لهذا يرى فوكو أن الطب النفسي

[1] دروس ميشال فوكو (1970، 1982) ،ص43

يمثل أحد النظم الأساسية، التي ساهمت في إخضاع الجسد وضبطه، وتأثيره المباشر على نفسية الإنسان، وتوسع مجالات السلطة، وبسطت قبضتها على كل المجالات تحت دعوى رفع مستوى رفاهية الأفراد، وضرورة الاهتمام بالصحة النفسية للإنسان، فأراد قدر الإمكان أن يبين العلاقة الوطيدة التي أنتجتها السلطة بين الجسد، ونفس الإنسان.

تم صياغة نفسه صياغة طبية، بحيث أصبحت ذات الإنسان مجرد كيان يخلق، ويعاد إنتاجه من خلال ما يسمه بالخطاب العلمي (الطبي)،فالطبيب هو القادر على تشخيص حالة المريض، وفي يده السلطة على الحكم عليه وفي هذا يقول" إن السلطة في اتخاذ القرار يعود على الطبيب ،وهو وحده من يقرر جنون هذا الشخص ،وهو وحده الذي يميز بين الإنسان السوي ،والأحمق ،وبين المجرم المستلب غير المسؤول"[1] ووضح لنا بطريقة مفصلة كيف أصبحت السلطة إستراتيجية منظمة، بسطت هيمنتها على سلوكات الأفراد، لذا أصبح الطب مؤسسة تظم خبراء، ومستشارين ،محترفين، تقدم حقائق مفصلية عن الذات الإنسانية .كما ساهمت السلطة من خلال خطابها العلمي في تحديد صفات الأشخاص المرضى أي تشخيص حالتهم "السواء" "الشذوذ" ،وتحديد الإجراءات اللازمة للوصول إلى مستوى السواء ،أي إنتاج الشخصية السوية، مما جعل من الأطباء يسمح لهم برسم صورة عن المريض، ويتم نقل المريض من البيت إلى المستشفى التي تتحول إلى موقع للسيطرة المكثفة، وجعل المستشفى بمثابة السجن، لكون المريض يتعرض للمراقبة ،والضغط مثل التي يعاني منها في السجن وفي هذا صرح قائلا "....قد حول المستشفى إلى مجرد سجن"[2] . وتحصيل المعرفة، فاللباس الطبي العلمي ما هو إلا مشروع موجه نحو خلق فرد مشكل طبيا، من أجل توفير شروط للحياة النفسية، وسلوكيات الفرد، التي تتوازى، وتتوافق مع متطلبات الصحة. فقدم لنا فوكو رسالة واضحة ،فالمعرفة الطبية تماما مثل الممارسة الطبية يتم بناءها اجتماعيا انطلاقا من نفسية الفرد، والمعرفة الطبية لا تكتفي بممارسة دورها الظاهري، بل تتعدى إلى موقف

[1] ميشال فوكو ،تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ،ص149
[2] المصدر نفسه ،ص137

آخر مما يؤدي إلى إنتاج وقائع أخرى، والتحكم في الفرد أكثر انطلاقا من اعترافه ببعض أسراره لطبيب، الذي يكون مستخدم من طرف السلطة،فالاعتراف استخدم كآلية لإنتاج الحقيقة هذا من جهة ،ومن جهة أخرى استعمل كنقطة لتحكم في أسرار الفرد، وبناء على ذلك فإن ظهور العلوم الإنسانية بنسبة لفوكو، علم النفس خاصة، ليست لحظة مجيدة لأنها ساهمت في ازدهار، وتقدم تقنيات تأديبه، مما يجعل الفرد أكثر تقيدا، وانضباطا، ومن ثمة الإحكام في السيطرة على الإنسان.

يمكن القول أن العلوم الإنسانية عامة، والطب النفسي خاصة ،شغل مكانة مهمة بين النظم والمؤسسات التي من خلالها تم تصوير الجسد، وتمثيله ،والتعامل معه وإخضاعه وجعل فوكو نظام إخضاع الجسد ،فمولد السجن ما هو إلا تطور لعلم العقاب، والجريمة وما نشأة المصحات النفسية، إلا تطوير للطب النفسي، وما الاعتراف إلا آلية من آليات التعذيب كما أن انتظام المعرفة أدى إلى ضبط الجسد ،وإخضاع الرغبة للعقل، وكل هذه العلوم تشير إلى ظهور الضبط المفصل للجسد في صورة مؤسسات مختلفة (السجن المدرسة المصنع الثكنة) ولهذا أنتجت تقنيات فائقة القوة، مما أثر سلبا على جسد الإنسان . ذكر فوكو في تحليله لسلطة، وإبرازه لعلاقتها بعلم النفس ،على ما يسمى بالمشتمل" panoptisme "،أين ذكر فوكو شكله الهندسي، ووصف تصميمه كما يلي "إن المشتمل هو الصورة الهندسية البنائية لهذه التركيبة ،ومبدأه معروف :عند الجوانب بناء من حلقات في الوسط برج ،وفي داخل هذا البرج نوافذ واسعة ،تفتح على الوجه الداخلي للحلقة ،ويقسم الجانب إلى غرف معزولة ،كل واحدة منها هي بطول سماكة (عرض)البناء ،ولكل غرفة شباكان ،شباك من ناحية الداخل ، مطابق لشبابيك البرج ،وشباك يطل على الخارج يتيح للنور أن يقطع الغرفة من جهة إلى جهة"[1] فالمشتمل إذن ما هو إلا مكان لتحكم في سلوك الإنسان من خلال قمعه ومراقبته الصارمة ،فهو يمثل مختبر لتغير سلوكهم ،والتحكم فيهم بطريقة بارعة، فمن السهل

[1] ميشال فوكو ،المعاقبة والمراقبة ترجمة علي مقلد ،مراجعة مطاع صفدي ،ص210

إجراء تجارب في كل غرفة، ثم إخضاع الملاحظات، وتصنيف النتائج المحصل عليها من البرج ،ومن ثمة، فالمشتمل هو ذلك التصميم الذي يجمع بين السلطة، والمعرفة؛ ومراقبة الذات في أدق تفاصلها، والذي يسمح بتطبيق هذه التكنولوجيا التي تقوم على إخضاع الأفراد ،وتجعلهم منتجين لسلطة ،وفي نفس الوقت مراقبين. وعليه فالمشتمل يمارس سيطرته على الذوات وبالتالي، فهو حدثا مهما في تاريخ الفكر، حيث استطاع أن يقدم هندسة جديدة تتمكن من بلوغ أهدافها الإصلاحية بأقل تكلفة ممكنة، أين شهد التاريخ العالمي لأول مرة فضاء رسمي ولأول مرة يتم الاستغناء عن الصلبان؛ والمحارق التي شاعت في العصور الوسطى، وعليه فالمشتمل هو نموذج مثالي لسلطة؛ وتقنية أخرى من تقنيات مراقبة الذات ،وهذه المراقبة أثرت كثيرا على نفسية الفرد، نتيجة الإكراه الذي تعرض له ، مما ولد نفسية مقهورة محطمة من كل الجوانب.

يمكن القول بأن فوكو أعاد قراءة هذه البناية ،حيث يرى أن مبدأ المراقبة كان حاضرا في كل الأوقات، وفي كل الجهات ،فأينما نولي وجوهنا نجد عيون الرقيب لا تنام ،بحيث أصبحت الرقابة نظاما اجتماعيا منظما ،وعقلانيا يسعى جاهدا إلى التحكم في الذات، ومن ثمة أصبح المشتمل أداة أنتجتها السلطة للمراقبة وفي هذا يقول فوكو "...و أداة من أدوات المراقبة السياسية للمؤامرات ،والحركات المعارضة، وللثورات ،وضيفة انضباطية"[1]، أي أن المشتمل يقوم بدوره بطريقة صارمة من جميع الجوانب، وكل هذا بحجة الاهتمام بصحة الفرد ،وما زاده قوة هو تطور الطب بمختلف جوانبه ،ومجالاته، ومن بينها علم النفس ،الذي ساهم في التحكم بالفرد بأدنى تكاليف، أي وصول السلطة إلى هدفها بأقل ما يمكن من الجهد، والوقت والمال، وهذا يعني أن المجتمع الرأسمالي هو في الواقع مجتمع مراقبة بامتياز.

[1] المصدر سبق ذكره ،ص221

- **علاقة السلطة بعلم الاجتماع**

تبدو سمات المراقبة الضبطية في المجتمع الحديث؛ المتجلية في بناء أشكال هندسية دائرية محاطة بأسوار عبر شبكات تمتد طولا، وعرضا في المجتمع. وهي تدعي في الوقت ذاته أنها لا تقوم بأية وظيفة، غير وظيفة تعليم الناس، وإصلاح أخطائهم وسلوكاتهم؛ وطبائعهم؛ وتهذيبهم؛ وحمايتهم حتى يتم تحقيق فضاء اجتماعي منسجم.

ذهب فوكو إلى أكثر من ذلك إلى اعتبار المنحرفين، والمهمشين ،والمجرمين ،ودعاة العنف بمثابة صورة باطنية، كفيلة بتصوير وعي المجتمع وأعراضه. وهذا اللاوعي الذي يتم كبته سرعان ما يتفجر في وجه من قيدوه ويرهبهم كما أرهبوه إذ لا يمكن اعتبار المنحرفين والمرضى؛ والمهمشين؛ والمجرمين بهذا المعنى ،فهي ليست ظواهر اجتماعية فحسب، بل هي حقائق اجتماعية ،وإنسانية للمجتمع نفسه.فالعنف الذي تمارسه السلطة من الأعلى قد يشتد عنفا من الأسفل، أي من المجتمع.إذ لا فرار من الاعتراف بأنهم يشكلون الوجه الحقيقي المعبرة عن أمراضها ،كما قال فوكو "ففي أزمة المنبوذ؛ وبؤس المهمش ،ومرض الشاذ؛واعوجاج المنحرف؛ وذنب المجرم؛ وعنف المتمرد حقيقة أنكرها المجتمع ،وغيبها الجميع لكنها وسخ غسيلنا، وخير من يفشي أسرارنا الفاضحة التي تسعى لحجبها ،وكبتها والتستر عليها"[1] بمعنى حتى وأَنْ حاول المجتمع التهرب من المجرم؛ أو المنحرف فهي حقيقة لا يمكن إنكارها،بل أكثر من ذلك فهي تُفشي أسرار السلطة،والبوح بحقيقة العاقل هو من يفشي بسر السوي.

يبقى التاريخ الحقيقي ليس هو ما يدون؛ وتحتفظ به السجلات الرسمية، بل هو تلك الأشياء المتناثرة، والبسيطة،والأحداث اليومية التي يلتفت إليها بالبحث عن حقيقة المجتمع؛وعيوبه من تاريخ الذوات المنبوذة ،والمهمشة. والمطحونة، والمعذبة؛ والمنفية على الرغم من التعذيب

[1]– مجلة العرب الثقافي (البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة (4))،2007،العدد11،ص4

وحجم لامبالاة البادية في كل مكان. وعلامة التغيب ماهي إلا رمز على خوف المجتمع من حقيقته المرعبة،وأمراضه المزمنة ،وما به من ذوات مزيفة. هذا ما لاحظه فوكو في كتابه "المراقبة والمعاقبة أين "أعاد قراءة دور البناية الحلازونية*التي كانت غايتها المراقبة أي عدم ترك الفرصة له ما يجعلها كناية عن نظام المراقبة الاجتماعية الحديثة وعليه أصبح الحديث عن المجتمع بكل مؤسساته، دون استثناء إحدى ظواهر اليوم، أين أصبحت المؤسسة تستخدم الفرد كما تشاء، ولمصلحتها وفي هذا يقول فوكو"لم تعد المؤسسة في خدمة الفرد ،بل وضعت الفرد في خدمتها ،وفي خدمة آلتها البيروقراطية الجهنمية"[1] وما التفت إليه فوكو هو أن عين السلطة لا تغفل، بل هي متوجهة إلى فضاء الأفراد سواءً كان من قريب أو من بعيد، أين تكون حاضرة في كل مكان (المدينة ،القرية ،الحي الأسواق المدرسة ،والشارع، والمستشفى)وغيرها من المؤسسات الاجتماعية ،نظرا للقمع الذي تتعرض له الفئات الاجتماعية الموجودة في تعارض مع السلاطين، وقوى الحكم، والمرجعية الاجتماعية فينتج ضغط على هذه الفئات ،أي السلطة تقمع كل فرد يكون ضدها،أو يعارضها في أمر ما، كما جاءت السلطة بشكل أخر من الأشكال العقاب الاجتماعي ،والذي له علاقة وطيدة بعلم الاجتماع،ألا وهو الإمتحان الذي عرفه كالتالي"فهو وسيلة لضبط أو تعديل المعيار، والقاعدة ،والقسمة ،والتقويم ،والإقصاء ،وهو كذلك رحم لكل ما تعلق بعلم النفس ، بعلم الاجتماع ،بالطب النفسي ،بالتحليل النفسي ،وبكلمة واحدة رحم لما يسمى بعلوم الإنسان "[2]إذن الامتحان هو تمهيد لظهور الإقصاء، ولكن بطريقة مشروعة ومبرهن عليها من خلال النتائج التي تقدم للممتحنين أصبحت من خلال التوظيف الدقيق للوقت، وهذا بالإضافة إلى تكريس الرقابة على المتعلمين إلى درجة أصبحت المدرسة لا تعني لسلطة إلا مكان لإجراء الامتحان.ولم تقتصر المراقبة على المدرسة فقط، وإنما نجدها في الثكنة التي لم يكن هدفها إلا ممارسة السلطة التي بقيت تحت اسم الامتحان الذي ظل فارضا نفسه من خلال استثماره

*البناية الحلازونية: هي شكل من أشكال البناء يوضع خصيصا للمراقبة فهو رمز الرقيب الدائم.

[1] المرجع سبق ذكره ،ص5

[2]– ميشال فوكو ،دروس(1970–1982) ،ص14.

للوقت إلى جانب المستويات التي تتاح لسلطة استعمالها ،من أجل التحكم في المعارف، والتمكن من الاطلاع على مدى قدرة التلاميذ على الاستيعاب، والوقوف على دراسة المناهج المتبعة مقارنة بقدراتهم على التلقي، لهذا برمجت الامتحانات تقريبا بشكل يومي في المدارس المسحية، خاصة خلال القرن السابع عشرة، وفي هذا صرح قائلا "لقد أراد إخوان المدارس المسيحية أن يقوم تلاميذهم بإجراء الامتحان خلال كل أيام الأسبوع.إذ نجد مثلا في اليوم الأول يجري فيه الامتحان في مادة الإنشاء واليوم الثاني لعلم الحساب ،واليوم الثالث تلقن فيه الدروس المسحية صباحا وتعلم لهم الكتابة في فترة المساء "[1]

فالامتحان هو صيغة قانونية تتخذه السلطة كفرصة لفرض السيطرة كما أنه الوحيد الذي له الحق في فرز الضعفاء عن المتفوقين، وفرض المفاهيم، والتصنيفات التي تتخذ صيغة الواقعية، فمثلا الرسوب المدرسي لا يمكن الحديث عنه بدون أن يكون للامتحان وجوده الفعلي ،الذي يصبح لديه سلطة، وعليه فالامتحان، هو المعيار الوحيد الذي يمكن الثقة فيه من أجل منحه المصداقية في ممارسة السلطة .كما أن السلطة تتحكم في إدارة التعليم.وتعمل على توجيه الأشخاص،كل حسب قدراته وذلك من أجل الاستفادة من معارفهم ،وهذا بالاعتماد على فن التوزيع الجيد لهم. ويعطي لنا سارتر مثال عن الطبقة البورجوازية، وكيفية التعامل مع الأفراد ووظائفهم، وانعكاسات ذلك عليهم وعلى السلطة "أن تقني المعرفة العملية يجند من الأعلى ولئن ما عاد ينتمي بصورة عامة إلى الطبقة السائدة فإن هذه الأخيرة تسمية وتعينة في كينونة إذ تقر طبيعة العمل ووظفته تبعا لطبيعة مشروعها وتبعا للحاجة الاجتماعية منظورا إليها من زاوية اختياراتها الخاصة، ومصالحها، وتحدده الوظيفة قبليا بوصفها تشغل دورا يؤذي فأن يكون هنالك كذا عدد من المناصب للأطباء والمدرسين ....الخ عام 1984

[1] Michel Foucault ,surveiller et punir, édition Gallimard ,1975 ,p189

يعني بالنسبة إلى فئة المراهقين تحديدا لحقل الإمكانيات والدروس التي ينبغي الشروع فيها ،كما يعني من جهة أخرى قدرا ومصيرا"[1]يجب الإشارة إلى أن هذه العملية تكون مدروسة أي أن السلطة تكون قد أخذت مسبقا مبادئ التعليم التي تتوافق مع مصالحها فيسيرون بطريقة عبقرية ميول وراغبات الأفراد ويظهر ذلك من خلال فرض بعض الاختصاصات عليهم. نجد تحكم السلطة في توجيه التعليم وتحديد الوظائف التي سيشغلها المواطنون في المستقبل وذلك من خلال الإرتكاز على مبادئ صارمة ،وهذا ما يظهر لنا حسب ما أشار إليه سارتر قائلا"إن الطبقة السائدة التأهل الأيديولوجي، والتقني للاختصاص في المعرفة العملية هو الأخر بتنظيم مكون من الأعلى (التعليم الابتدائي الثانوي والعالي) واصطفاء وبالحكم والضرورة،وتنظيم الطبقة السائدة التعليم ،على نحو يوفر للمؤهلين الإيديولوجيا، التي تراها مناسبة لها،وتقوم أيضا بتلقين المعارف ،والتقنيات التي ستؤهلهم للممارسة وظائفهم في التعليم العالي"[2]أي أنها تقوم بتلقين المعارف بصورة قبلية، مما يوضح لنا كيفية ممارسة الوظائف ،ومن خلال هذا يمكن أن نفهم أن السلطة تفرض سيطرتها على المجتمع بطرق عديدة دون نقاش، وذلك من خلال أسلوب الإقناع الذي تعتمد عليه ،وأن لا أحد مهما كان يحق له مشاركتها في اتخاذ القرار، لأنها الوحيدة القادرة ،والتي لها كفاءة في اتخاذ القرار مراعية في ذلك مصالحهم، وبالتالي يجب على الجميع أن يعترفوا بقوتها وسيطرتها.

- **علاقة السلطة بالطب العقلي**

بعد التساؤلات المطروحة المتعلقة بشأن الفرد في المجتمع الغير السوي ،من خلا ل تمرده على المعيار نشأ طب الأمراض النفسية ،والذي حصر همه في كيفية إعادة إدماج هذا الفرد في المجتمع وفق معايره، وقيمه،و بشكل أعم كانت ولادة المستشفى تهدف إلى إعادة الفرد

[1]– جان بول سارتر دفاعا عن المثقفين،ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب بيروت،ط الأولى 1989ص22.

[2]– المرجع نفسه ،ص 23.

إلى الحالة الطبيعية في تحليل الأسباب التي كانت وراء هذه الفوضى الذهنية، والمؤسسة الإستشفائية، في نظر فوكو ما كانت لتبرأ من تهمة الرغبة في الهيمنة. ويرى فوكو أن فكرة إنشاء المستشفى لا علاقة لها بالتطبيب، بل هو إطار تمارس السلطة من خلاله السيطرة والهيمنة، والإقصاء، ولم تكن فكرة نشأة المصحة العقلية 1793 إلا استمرار لسياسة الإقصاء ،وإذا تمكن الإطار الطبي من محاصرة الجنون فلأنه تحكم في صيرورته، فهو يري أن ما يدعيه الإطار الطبي من علم بالظاهرة، ما هو في حقيقة الأمر إلا قناع يخفي وراءه السلطة التي يمارسها النظام الاجتماعي، الممثلة من شخصية الطبيب كدعامة أساسية لنفي والإقصاء.وبالتالي، من هنا يستمد الطبيب سلطته في العلاج، إذ استطاع عقل السلطة أن ينتصر من خلال تجسيد الطبيب لقيمه ،وهو خير مثال يستشهد به فوكو لتعزيز وجهة نظره فإلى غاية القرن السابع عشرة، كان الطبيب مبعدا عن الاشتراك في آليات تسير المستشفيات ،التي كانت تتكفل بها الهيئات الدنية،وابتدءا من القرن التاسع عشرة ،بدأ الطبيب يوسع حقل فحوصاته ليشمل الجميع، وبذلك تحول الطبيب إلى الحجر الأساسي الذي تستعمله السلطة للوصول إلى مبتغاها ،وهكذا تم تقسيم الكتلة البشرية إلى فرديات بحيث يتحول كل فرد إلى حالة فحصية، وبالتالي إلى موضوع معرفي، وسلطوي في آن واحد ونجده يصرح ذلك في قوله:"كل ما يمكننا العثور عليه في خطاب أطباء القرن التاسع عشرة...فالسؤال المطروح من يتكلم ؟من مجموع الأفراد المتكلمين من له الحق في أن يمتلك هذا النوع من اللغة ؟ من مالكها ؟من يفوض إليه هذا المالك حق التصرف فيها .... فالتمتع بصفة الطبيب ومميزاته يتطلب معاير الكفاءة والقدرة وحسن الاطلاع إلى جانب الدراية ،ويستوجب توفر المؤسسات وقواعد تربوية، وشروط قانونية تسمح قانويا وفي حدود معينة بممارسة الطبيب لمعارفه وتجربتها"[1]

[1]– ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت ،المركز الثقافي العربي ،ط الثانية1987 ،ص48.

يعني هذا السلطة استغلت كل شيء، وكل الميادين حتى ميدان الطب أصبحت تستخدم هؤلاء الذين يخدمونها كي تسيرهم كما تشاء، وأي فرد (الطبيب) يعارض مصالحها تقصيه من ممارسة هذه المهمة ،وأصبحت تستخدم من كان في هذا المجال حتى الذي ليس له أدنى فكرة حول هذا المجال أو الذي عنده معرفة بسيطة، وهذا لا لشيء إلا لأنه يخدم مصالحها ،وبالتالي تسعى دوما لحماية نفسها من الإتلاف، وذلك لادعائها تعامل الأشخاص كل حسب مستواه من أجل الحفاظ على مصداقيتها لأنه في حالة ما إذا حدث وأن تخلت بعض المعارف عن الشروط التي تضعها على من يرغب الدخول فيها، سينعكس هذا سلبا على حياة الإنسان بالدرجة الأولى ،وعلى المعرفة بالدرجة الثانية، لأنه من الخطورة جدا أن يصبح الجزار ممارسا لمهنة الطب، وليوضح لنا فوكو هذا أكثر عاد إلى الأرشيف التاريخي الفرنسي ،وبالضبط إلى سنة 1793 حين اختلطت الأمور في المستشفيات الفرنسية ليقتنع أن كل معرفة لابد أن يمارسها العارف بها."في سنة 1793 ذهب الكثير من الأطباء مع الجيوش الفرنسية المدافعة عن الجمهورية، وحدث بالتالي عجز كبير ،في عدد الأطباء الممارسين وبذلك اتسع المجال للممارسين الغير المعتمدين والمشعوذين اللذين شكلوا خطرا ، كبيرا على المرضى"[1]

يشير فوكو إلى أن العصر الكلاسيكي ،هو العصر الذي جسد فصل الكلمات عن الأشياء، وهذا ما انعكس على المجال الطبي، الذي قام بالفصل بين المرض ،وموقعه في الجسم ،وهذا ما يسمى بالطب التصنيفي ،وفي هذا يقول "لما كان العصر الكلاسيكي هو عصر الأنساق أو الحقبة التي فصلت الكلمات عن الأشياء ،لذا فقد استهدفه فوكو لكي يكشف عما اشتهر به من طب يفصل بين المرض وبين مكان الألم في الجسم وهو مايسمى بالطب التصنيفي ،أوطب الأجناس"[2] يبدو أن الطب التصنيفي حسب فوكو قد ركز على البحث عن

[1]– عبد الوهاب جعفر،البنيوية بين العلم والفلسفة لدى فوكو،دار المعارف،القاهرة ،مصر،ط1 دون تاريخ ، ص226.

[2]المرجع نفسه ،ص213

الأعراض المرض وإهمال العلاقة الحتمية التي تنشأ بين هذه الأعراض، وعليه فإن العصر الكلاسيكي كرس الفصل بين الكلمات ،والأشياء في الفصل بين الجانب النظري عن الجانب التطبيقي داخل العيادة، وهذا ما أدى إلى الفشل في أداء مهمتها، ويستدل فوكو بالمقال "اللذي كتبه جال 1790عن تطوير الفن العلاجي ،إن دراسة الطب ينبغي أن تستمر سبع سنوات وأن، تتضمن دراسة الرياضيات والهندسة والفيزياء والكيمياء وكل ماله علاقة أساسية بالعلم الطبي ،ولم يشر المقال إلى أي اهتمام بالجانب التطبيقي أو البحث الاكلينيكي"[1] ومن هنا يمكن القول بأن مجال الطب خضع لسلطة محكمة، وتأثر مثله مثل بقية المجالات الأخرى،كما أن الطب خضع لتقنين وتحديده بمدة زمنية معينة يجب الاقتداء بها وأهمل الجانب التطبيقي الذي يحتوي على أهمية علمية أكثر من التقنين.

لقد ظهرت في الحضارة الغربية شكل من أشكال التسلط ألا وهو المنع الذي ساهم في تدهور المعرفة ،وعدم تقدمها فقد عرقل العديد من العلوم التي نجد من بينها علم التحليل العيادي هو الذي منع لعوامل عدة من بينها الدنية، والأخلاقية ."إن علم التشريح العيادي هو الذي أرسى المبادئ الأولى للوضعية في المعرفة الطبية ،ولقد تعطل ظهور هذا العلم بسبب وقوف الديانة، والأخلاق ،والأحكام المسبقة عائقا دون تشريح الجثث"[2]تعمل السلطة على منح المعرفة الشرعية في ممارسة عملها الذي بدوره يجعل المعرفة تكتسب السلطة ،ولا يمكن لأحد إنكارها فالطبيب ،مثلا هو الوحيد القادر على تصنيف المرضى ،و منح المعرفة الشرعية في ممارسة عملها ،الذي بدوره يجعل المعرفة تكتسب السلطة ،ولا يمكن لأحد إنكارها، ،وهو الوحيد الذي له الحق في وصف العلاج ،الذي يتماشى مع طبيعة مرضهم ، فسعت السلطة إلى التحكم في المؤسسات الطبية،وأصبحت هي التي تصدر القرار ،نظرا لما يمتلكه الطب من وزن في حياة الفرد، والجماعة وبالتالي نجد تدخل كل الأطراف في المجال الطبي أي أن السلطة تتحكم في زمام الأمور بكل تفاصلها وأنواعها.

[1] عبد الوهاب جعفر ،البنيوية بين العلم والفلسفة ندى ميشال فوكو ،ص222-223
[2] جبيقة براهيمي،حفريات الاكراه في فلسفة ميشال فوكو،ص146

الفصل الثالث

الجنس والسلطة

علاقة المعرفة الجنسية بالذات:

إن هذا النظام"نحن الفيكتوريون"[1] يدعو لتطهير إذ يحكم على كل علاقة جنسية وكل ما يتعلق بالجنسية من قول وفعل إذ هو نظام يدعو إلى الكف ومنع الممارسات الجنسية إلا إذا كان الهدف الوحيد من ذالك هو الإنجاب ويكون داخل البيت الأسرية وبالتحديد في غرفة الزوجين "هكذا بات الصمت يلف الجنس ،وغدا الزواج المشروع والمنجب ،يمارس سلطته.لقد فرض نفسه كنموذج وبرز كمعيار،وامتلك الحقيقة واحتفظ بحق الكلام مع احتكار مبدأ السر.ففي الفضاء الاجتماعي كما في قلب كل بيت،لم يعد يعترف للجنسانية إلا بمكان واحد ،ولكنه خصب ونافع: غرفة الآباء .أما الباقي ،فلم يكن بإمكانه سوى أن يتلاشى وينمحي ،فلياقة المواقف كانت تتجنب الأجساد واحتشام الكلمات كان يبيض الخطابات "[2] ونفهم من خلال هذا القول أن الجنس يستعمل لغاية واحدة ألا وهي حفظ النسل، وكل ما يحدث خارج هذه القاعدة يعتبر منبوذا مكروها إنسان اللأخلاقي وهذا مانجده في بعض الدول العربية التي اهتمت بالظاهرة الجنسية والتي أعطت لها أهمية بالغة وعلى سبيل ذلك نجد العربية السعودية تعرض موضوع الظاهرة الجنسية في إطار ثقافي ضيق حيث نجد "محمد ابراهيم العبد الرحمان" من أشهر علماء الاجتماع السعوديين، تناول هذا الموضوع وفي هذا الصدد لاحظ أن المجتمعات العربية مازلت مجتمعات محا فضة وملتزمة بالإطار الثقافي الذي يضبط السلوك ويوجهه ومن ثمة أكد أن هناك في الظرف الراهن حاجة كبيرة في المملكة كي يعاد النظر في هذا الاتجاه والعمل بروية وتخطيط وتدبر لاتخاذ الفرضية في مختلف الأطوار التعليم والتقرب بوضوح لفهم مكونات الظاهرة الجنسية عند كل المخلوقات الجنسية وعلى رأسها الإنسان،كما نجد أن الحضارات القديمة لم تتغافل عن هذا الموضوع ،فهناك من الحضارات من استغلت الجنس كتقليد عفوي ارضاءا للآلهة وهو على نوعين :

[1] ميشال فوكو ،تاريخ الجنسانية ،الجزء الأول ،إرادة العرفان،ترجمة محمد هشام ،ص5 .
[2] الصدر نفسه ،ص5

النوع الأول: كانت تمارسه النساء العذارى مع غرباء عنهن. وكان يجري إرضاء للآلهة الإناث، ولمرة واحدة في حياتها، فقد روى "هيرودوت"" أن المرأة كان ينبغي عليها أن تجلس مرة واحدة في حياتها في فناء هيكل الآلهة (ميلتا MILITA) أو عشتار (ISHTAR) آلهة الحب والجمال، وأن تضاجع غريبا عنها. وكانت النسوة تجلس في ممرات مستقيمة في الفناء ويمر الغرباء ليختاروا من النساء من يرتضون عن طريق إلقاء قطعة فضية،أو ذهبية في حضنها، ويصاحبها إلى مكان ملحق بالمعبد خاص بالاضطجاع[1].

النوع الثاني: كانت النسوة تقوم بممارسة الجنس مع كهان المعابد وزوارها وهذا إرضاء للآلهة الذكور،" وقد اقتضت العادة في مصر القديمة حتى الفتح الروماني (سنة 30 ق.م) أن تختار أجمل وأحلى بنات الأسر الشريفة في مدينة (طيبة العاصمة) وتنذر نفسها للآلهة (آمون) حيث تستحم وتزين بالكحل والألوان والحناء وتلبس أغلى الجواهر والحلي والملابس وتعرض أمام الكهنة، وعلى قدر جمالها تضاجع أعلاهم مرتبة[2] ونفهم من هذا أن الجنس كان يمارس على شكل تقاليد وأعراف ومسموح لبعض ،دون آخر،أصحاب المراتب العليا وحسب مضمون هذه الحضارة أن المرأة كلما كثر عليها الرجال اللذين أقاموا معها علاقة كلما كانت محترمة أكثر .

كما أن هناك في بعض المدن من النساء من يقمن برقصات إسماع بعض الأناشيد من أجل إثارة نوع من الحماس الديني، وبعد الانتهاء من ذلك يقمن بممارسة الجنس مع زوار المعابد والهدف من ذلك هو إرضاء الآلهة ،وليس هذا فقط وإنما هناك من يقمن بذلك مقابل مبلغ مالي معين وبالتالي استغل الكثير هذا الأمر وفي هذا نجد "هيرودوت يزعم أن الأهرامات بنيت في مصر من أموال البغايا وأن خوفو بنى هرمه من أموال ابنته البغي المقدسة"[3]

[1]-غانم ابتسام ،التصور الاجتماعي للعذرية عند الطالبة الجامعية،مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في علم النفس الاجتماعي ،ص60

[2]-نفس المرجع ،ص 60.

[3] المرجع نفسه ،ص61

كما نجد الديانة التي تعتبر ممارسة الجنس خارج القانون وأنه فعل لا أخلاقي يجب القضاء عليه واعتباره إنسان خارج عن القانون، إنسان منبوذ ،مكروه، مهمش ، وأشار إلى ذلك الكثير من رجال الدين فنجد في الإنجيل مثلا "وقد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن ،وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة فقد زنى قلبه "[1]

إن الكلام عن الجنس يدفعنا إليه عدة دوافع وأشياء ،واستعمال القمع فيه أمر لا مفر منه،إذ هو خطاب قمعي محض وفي هذا يقول فوكو"إنشاء خطاب تجتمع فيه الرغبة في المعرفة ،إرادة تغيير القانون والأمل في الدخول الفردوس الملذات :هذه هي الأمور التي تدعم فينا الاندفاع نحو الحديث عن الجنس باستخدام عبارات القمع"[2]

كما قام بنقد الحضارة الغربية التي تدعي الحرية ،كشف خبايا هذه الحضارة ،وفضح كل أسرارها بما فيها الجنسية ،أي الحضارة الغربية أنتجت جنس مقموع، مقنن خاضع للقوانين الصارمة والتقاليد البالية ،فأنتجت ما يسمى بالرهبان اللذين يهربون من حياتهم الجنسية ويخضعون أنفسهم لعبادة الله كما يدعون، أي كلما ابتعد عن الحياة الجنسية كلما اقترب من الرب أكثر ،هذا ماهو إلا دليل على أن الجنس فعل منبوذ حسب تعاليم دين المسيح ،وأنه ارتكبوا خطيئة في الماضي وفي هذا صرح فوكو قائلا "إنما ينبغي التساؤل أيضا لماذا ندين أنفسنا إلى هذا الحد لكوننا صنعنا من الجنس خطيئة فيما مضى ؟عبر آية طرق وصلنا إلى الشعور بأننا مذنبون تجاه جنسنا ؟والى أن تكون حضارة فريدة بما يكفي لتدعي أنها ارتكبت خطيئة في الماضي "[3] من خلال هذا القول نجد فوكو اندهش من فكرة الخطيئة واتخاذها كعذر ديني للقيام بما يريدون،فهذا إن دل على شيء فهو يدل عل أن الجنس في الحضارة الغربية هو جنس مقموع ،ممنوع الكلام عنه ،غير مقبول في المجتمع مما أدى إلى إنتاج ثلاثة شكوك رئيسية :

[1] الإنجيل متى الاصحاح ،4 ص
[2] ميشال فوكو ،تاريخ الجنسانية ،الجزء الأول إرادة المعرفة،ترجمة أبي صالح ومطاع الصفدي ،مركز الانماء القومي ،بيروت ،1990 ،ص31
[3] نفس المصدر ،ص32-33 .

الشك الأول: أين طرح فوكو عدة أسئلة عبر التاريخ مما جعله يصل إلى النقاط الأساسية والعريضة له ،وأن هدفه كان الوصول إلى إنتاج خطاب جنسي حر وفي هذا يقول "إن النقطة الخطابية الإجمالية هي وضع الجنس في خطاب"[1] ،أما الشك الثاني تساءل عن آليات السلطة وعن طبيعتها ،أما الشك الثالث تساءل فيه عن نوع الخطاب الذي أنتجته هذه الحضارة .

كما تميز العصر الكلاسيكي بربط الجنس بالسلطة ،فسعت جاهدة إلي إنتاج خطابات تلائم قوانينها وقواعدها ،وقامت بمراقبة الفرد في أدق تفاصيله، بل وأكثر من ذلك جعلته موضع اهتمام الشرطة وفي هذا يقول "في القرن الثامن عشرة،أصبح الجنس شأنا من شؤون الشرطة"[2] من هنا يمكن القول بأن السلطة لجأت إلى ابتكار جهاز الشرطة التي خرجت عن وضيفتها الأساسية، التي من المفروض تسعى إلى توفير الأمن، وحفظ النظام ،فأصبحت تتدخل في الأمور الشخصية للأفراد.

إن السلطة أذكى مما هو معروف عليها فابتكرت واستغلت نقطة الاعتراف المعروفة في الدين المسيحي ، استعملتها حتى في القوانين المدنية والاجتماعية ، أين تجبرهم على القيام به.

كما منعت كل الأشكال الكلام عن الجنس، وإن تجرأ وأن أباح برغباته الجنسية فيعتبر إنسان خارج القانون ويمثل خطرا على المجتمع.وأدخلت مقولة الطب التي سبق وأن أشرنا إليها في الفصل الثاني ،فحاولت تغطية القمع الذي مارسته بشخصية الطبيب التي لها وزن ثقيل في حياة الفرد،وحجة اهتمامها بصحتهم وإلا أصبح مهددا وفي هذا صرح قائلا"فالجنس إن لم يراقب أصبح خطرا مرضيا يتهدد البشر كلهم بما فيهم الأجيال القادمة"[3] أي قامت بتضليل الرأي العام ،وهذا ما أدى إلى تأسيس ثلاثة قوانين أساسية حكمت المجال الجنسي

[1] المصدر سبق ذكره ،ص 34
[2] المصدر سبق ذكره ،ص 44
[3] السيد ولد اباه ،تاريخ الحقيقة لدى ميشال فوكو،ص205 .

إلى غاية القرن الثامن عشرة وهذا ما نجده عند فوكو من خلال قوله"حتى نهاية القرن الثامن عشر هناك ثلاث شرع كبيرة صريحة –عدا الضوابط المتصلة بالعادات ،وضغوط الرأي العام– كانت تحكم الممارسات الجنسية :الحق الكنسي ،الرعوية المسيحية والقانون المدني "[1]،فالقانون الكنسي هو القانون الذي يسير عليه البابا .

المسحية الرعوية والتي تعني تعاليم الدين المسيحي خاصة تقنية الاعتراف.

القانون المدني الذي يعني مجموعة من القوانين التي تحكم المجتمع ويسير وفقها .

كما تجرأت السلطة حتى على إنشاء قواعد لغوية ومصطلحات تحكم الفرد ،أي على الفرد أن يراقب نفسه أثناء التحدث، ولا ينبغي الانزلاق أو الغلط، أو ذكر الجنس، أو كل ما له علاقة بذلك . كما حطت السلطة عينها على زنا المحارم كشيء يجب تقليله وتحريمه بينما مجال الحياة الجنسية للطفل لم تأخذه بعين الاعتبار، ولا ينظر إليها على أنها بحاجة إلى شفاء .

إذا حاولنا البحث في الحضارات الغير الغربية سنجد الذات واجهت عينها إلى البحث عن اللذة، بمعنى الجنس الذي أنتجته الحضارات الأخرى، هو جنس يهتم باللذة بينما الحضارة الغربية أنتجت علم الجنس .

1) <u>صفة الجنس في الحضارة الغربية</u>: يعتبر الجنس لدى الثقافة الغربية هو الانجاز الأكبر في الخبرة الجنسية، إن العناصر الأهم في علم الجنس لا يمكن العثور عليها في الجنسانية كشيء عقلاني في جميع الحالات وإنما في مضاعفة وتكثيف الملذات المتراكمة حول حقيقة الجنس ووصلت كما قلنا سابقا إليها وفي هذا قال فوكو "...ما تختص به الحضارة الغربية التي عرفت منذ القدم تقنيات الاعتراف كشكل من أشكال السلطة –المعرفة مختلف جذريا عن التلقين الشرقي"[2] وهنا نجد فوكو أشار إلى أن الحضارة الغربية أفرزت علم الجنس الذي هو مرتبط ارتباط وثيق بالاعتراف ،بينما الحضارة الأخرى أنتجت الفن الشبقي الذي له صلة مباشرة بالملذات.

[1] ميشال فوكو، <u>تاريخ الجنسانية</u>، الجزء الأول،إردة المعرفة ترجمة أبي صالح مراجعة وتقديم مطاع الصفدي ،ص55 .
[2] السيد ولد أباه،<u>تاريخ الحقيقة لدى ميشال فوكو</u>،ص203 .

كما عملت السلطة على ربط عالم الجنس با لسلطة الطبية وهذا ما أشار إليه فوكو في قوله"ارتبط علم الجنس بممارسة طبية ملحة وغير متحفظة "[1]

إن القرن التاسع عشرة ،كما هو معروف هو عصر العلم ،عصر الذي تقدمت فيه شتى المجالات ،وتأثر به ،من بينها موضوع الجنس الذي حاول فوكو أن يدخله في الإطار العلمي ،وحاول أن يخرجه من الظلال والظلام الذي كان يسوده ،وحاول قدر الإمكان إيضاحه ،ورفع الستار عليه،وهذا ما جعل الجنس يدخل في الإطار الطبي وتوليد المستشفى الذي هو من المفروض مؤسسة تهتم بصحة الفرد ،ولكن انحرفت عن وضعيتها ،وأصبحت مؤسسة رقابية من الدرجة الأولى وفي الوقت ذاته وسيلة تحريض ،ومصرح للاستخدام مختلف الاستعراضات واستخدام مختلف المنشطات ويضم فئة بشرية هائلة (الأطباء ،المرضى، أو الملفات والملاحظات) كل هذا لغرض المراقبة وعدم ضياع أي شيء حتى اتفه لأمور ومن ثمة تكون السلطة على علم بكل صغيرة وكبيرة، ولن تتغافل على ابسط أمر مهما كان سخيفا

إذا كان قبل ظهور تقنية الاعتراف يستخرج ما في باطن الإنسان عن طريق الأدب والرواية]أي عن طريق إلية الكتابة والإفصاح عما بداخله والتماس نزعته من خلال الكتابة والتأليف التي تعتمد علة الكلمات ومن ثمة الوصول إلى المعرفة .

إن السلطة عملت على ابتكار طريقة جديدة أسهل للوصول إلى حقيقة الذات ،فحاولت أن تبين للفرد أن الاعتراف ليس إجباريا ولا يمارس بطريقة مكرمة ،بل عملت على إقناعه بأن هذه التقنية تخدم صحته ،فكلما يفصح الفرد عن مكبوتا ته الداخلية كلما كان في حالة صحية عالية ومن ثمة الشعور بحرية أكثر وفي هذا يقول "الاعتراف يحرر ،والسلطة تخرس "[2] أي بالاعتراف يشعر الإنسان أنه حر والسلطة لا تمانع ذلك،بل تشجع القيام بهذه الخطوة لتكون على علم بكل ما يفكر، ويشعر، ويحس ،ومن ثمة

[1] ميشال فوكو ،تاريخ الجنسانية ،الجزء الأول ،إرادة المعرفة ترجمة جورج أبي صالح ،ترجمة وتقديم مطاع الصفدي ،ص69
[2] نفس المصدر،ص74 .

التحكم فيه أكثر وكأنه فخ استعملته السلطة للوصول إلى الفرد ،وأكيد هذا الفرد وقع فيه دون أن يعلم بالأهداف لهذه الخفية لهذه التقنية ،وعليه فإن الغرب بصفة عامة ،والسلطة بصفة خاصة نجاحا كبيرا ،وما التحكم في عدة أجيال وإخضاعها إلا دليل على ذلك وتكوين الذات على طريقتها ،واتخذنها كموضوع لسلطة، و موضوع لإنتاج الحقيقة،فالحضارة اليونانية مثلا ربطتها بالتربية والمعرفة وفي هذا يقول "في اليونان كانت الحقيقة والجنس يترابطان في شكل التربية،بنقل معرفة قيمة من جسد إلى جسد .كان الجنس بمثابة ركيزة لتلقين المعرفة "[1] .

كما استغلت السلطة الاعتراف ووضعته ضمن قوالب الطقوس المنتشرة آنذاك القائل بمجرد التلفظ ،والإفصاح بما هو داخلي ستكون تغيرات باطنية في حياة الفرد يصبح طاهرا وحرا فالسلطة تتماشى للفرد حسب الأفكار السائدة في المجتمع.

إن الخطاب الجنسي الذي أرادت الحضارة الغربية أن تؤسسه هو جنس علمي قائم على قواعد منضبطة ،ويختلف اختلاف جوهري عن الجنس الشبقي القائم على الملذات .ولكن الاعتراف كغيره .ولكن الاعتراف كغيره من الآليات لم تبق على حالها منذ تأسيسه ،وإنما حدث عليه تغير ،فبعد أن كان يمارس في إطار ديني خالص، والغاية منه التوبة أصبح يمارس حتى في العلاقات الأسرية ،والمؤسسات التربوية بين التلميذ والمربي ،وفي المؤسسات الطبية بين الطبيب والمريض، والغاية منه هو إنتاج الحقيقة وفي هذا يقول "لقد انتقل الاعتراف في القرون الأخيرة من الحيز الديني ليصبح إحدى التقنيات المفصلة في إنتاج الحقيقة عبرا العديد من المؤسسات وحتى الممارسات اليومية"[2] أي الاعتراف مس كل جوانب حياة الفرد فلم يعد الاعتراف هو البوح بما فعله،أي الفعل الجنسي ،إنما الغاية منه هو معرفة ذاته والاطلاع على الأفكار والهواجس التي صحابته أثناء القيام به ،وهكذا انتشر الاعتراف بطريقة مذهلة وتكديس الملذات وفي هذا يقول "انتشارالإجراءات

[1] المصدر سبق ذكره،ص75 .
[2] السيد ولد أباه ،تاريخ الحقيقة لدى ميشال فوكو ،ص203 .

الاعتراف ،وتموضع متعدد لضغطها وإكراهها وتوسيع لمجالها ،وهكذا يكون شيئا فشيئا أرشيف كبير للملذات الجنسية "[1] إذن الخطاب الجنسي مليء بالملذات والاعتراف هو طريق الوصول إليه وعليه فالاعتراف هي ميزة الحضارة الغربية بصفة عامة والديانة المسحية بصفة خاصة ،كما يمكن القول بأن الاعتراف لم يبق على حاله ،وإنما خرج إلى نطاقات أخرى منها القانونية أين تجبر السلطة الفرد على الاعتراف ،بل وتشجعه أيضا على ذلك خاصة في القانون الجزائي وهذا ما أدى إلى إنتاج عدة وسائل أي طرق وصول إلى الحقيقة .

2) وسائل الاعتراف:

-**التأويلية:** قامت السلطة بابتكار هذه الطريقة لتسير الفرد، والتي تقوم على الاستماع أين يقوم المعترف بإفصاح ما بداخله وإفشاء أسراره علنية أين يقوم المعترف له بتحليلها وتفكيكها والوصول إلى ماينبغي الوصول إليه وفي هذا يقول فوكو "يجب أن يقرن إفشاء الاعتراف كل رموز مايقال فيه .ومن يصغي إلى الاعتراف لن يكون فقط سيد المغفرة ،والقاضي الذي يدين أو يبرئ ،بل سيكون سيد الحقيقة ووظيفته التأويلية"[2] أي أن المعترف له هو الذي يقوم بالمهمة التأويلية.

- **طبننة الاعتراف:**ونقصد بهذه الطريقة إخضاع أفكار المعترف لسلطة الطبية أين يقومون الأطباء بتحليلها من الناحية العلمية ويصرح الطبيب بالحالة العادية للفرد (الحالة الجنسية) أو مرضها ،ومن ثمة علاجها إن كانت غير عادية وفي هذا صرح فوكو قائلا"بتم الحصول على الاعتراف ونتائجه من خلال إعادة صياغتها في عبارات علمية تحت شكل عمليات علاجية"[3] أي الاعتراف يكون له معنى إذا صيغ داخل الإطار الطبي فكلما كان الاعتراف في الوقت المناسب كلما كان الشخص قابل لشفاء أكثر وهنا

[1] ،ميشال فوكو،تاريخ الجنسانية ،الجزءالاول إرادة المعرفة ،ترجمة جورج أبي صالح ،ترجمة ،ومراجعة وتقديم مطاع الصفدي ص77 .
[2] المصدر نفسه،ص80 .
[3] المصدر ،ص80

تم تخليص الاعتراف من الطقوس القديمة التي كان ممزوجا بها ، وجعلها تمتاز بالصفة العلمية.

مبدأ استتار الباطني للجنسانية: إن هذا المبدأ يقوم على كشف هو موجود في باطن الإنسان، خاصة وأن عمل الجنس غامض، فحتى لو أن الفرد تخلى عن الحياء إلا أن هذه العملية معقدة ومختلفة، وهذا المبدأ ظهر في القرن التاسع عشرة، ودمجه ضمن الخطاب العلمي الذي بدأ يدرس الأمور الخفية والغامضة في الإنسان من بينها هذا الموضوع والعمل بكل قوة من أجل الوصول إلى هذا الاعتراف ووضعه ضمن الخطاب العلمي وفي هذا يقول "إن مبدأ الاستتار الجوهري للجنسانية يسمح بمفصلة الإكراه لتحقيق الاعتراف صعب على ممارسة علمية"[1] .

مبدأ الترميز العيادي: لقد أخذ الاعتراف سمة الفحص وإدماجه ضمن الإطار الطبي،وهذا بواسطة رموزه صياغته صياغة طبية علمية كالتداعيات الحرة والذكريات

مبدأ مسلمة وجود سببية عامة ومنتشرة: إن الية الاعتراف كغيره من الآليات الأخرى العلمية التي تخضع لمبدأ السببية وجعل الأمراض الجنسية مثلها مثل الإمراض الأخرى يتعرض للفحص والتحليل .ففي القرن التاسع عشرة،تم ربط جل الإمراض العضوية بالأمراض الجنسية،وهذا ما أشار إليه فوكو من خلال قوله "ليس ثمة مرض أو اضطراب جسدي لم يتصور القرن التاسع سببا جنسيا جزئيا على الأقل "[2] أي تم شحن الاعترافات الجنسية بالطابع العلمي.

[1] المصدر سبق ذكره ، ص 80 .

[2] ميشال فوكو ،إرادة المعرفة ،الجزء الأول ترجمة جورج أبي صالح ،ترجمة وتقديم مطاع الصفدي ، ص79

اهتمام الذات باللذات :

يقدم لنا فوكو في الجزء الثاني من مؤلفه إستعمال المتع أين قام بدراسة حول السلوكات التي يجب أن تمارس والقوانين التي يجب أن تتبع، إذ يجب إتباع طريقة مناسبة، الطريقة التي يجب إتباعها أثناء ممارسة النشاط الجنسي. حيث يرى أنه يجب إتباع إستراتيجية ملائمة ،فالقيام بسلوك جنسي أمام الجميع هو عمل لا أخلاقي يستنكره الجميع ،بمعنى أن السلوك الجنسي لان دان يكون في الخفاء وكأنه ليس شيء خاص بالطبيعة الإنسانية ،فالسلوك الجنسي مثل أي سلوك آخر كالأكل هو تلبية لغريزة أساسية ،لذلك الجنس يدخل ضمن هذه السلوكات مثلاً « حركة ديوجين* المشينة عندما احتاج إلى تلبية شهواته الجنسية، أرضى حاجته بنفسه أمام الساحة العمومية »[1] فدافع عن فعله إذ يرى أن إرضاء حاجته الجنسية مثل إرضاء حاجته الأكل والشرب إذ يعتبرها حاجة بيولوجية، فقد كان يقوم ديوجين « فعل كل شيء علانية مثل الأكل والحب »[2] إضافة إلى ذلك يجب تحديد الوقت المناسب لممارسة هذه المتعة باختيار الحصة المناسبة إذ إنه يجب إتباع سياسة الوقت في شتى المجالات حيث أن الأخلاق علاقة وطيدة بالوقت .

هناك من الأطباء من يرون أن استعمال المتع لا يجب أن يكون لا في السن مبكرة جدا ولا في سن متأخرة، كما أنه يجب تحديد الوقت على مستوى السنة، والفصول, « أنظمة الحمية، كما سنرى لاحقاً تعلق أهمية كبيرة على الترابط بين النشاط الجنسي وتبادل التوازن في المناخ، بين الحرارة والبرودة ، والرطوبة والجفاف »[3]، إضافة إلى ذلك يجب اختيار الوقت الأفضل في اليوم ، حيث يقومون بتفضيل فترة المساء، إذ يعتبر الوقت المناسب لراحة الجسم ،أي أن الجنس مقنن و محدد بفترة معينة

* ديوجين هو فيلسوف الاغريقي اعتاد العيش في برميل نبيد ،واشتهر بدعوته لمبادئ خا صة بالمذهبين الفلسفية والعدمية الحيوانية

[1]- ميشال فوكو، تاريخ الجنسانية، الجزء الثاني،استعمال المتع، ترجمة محمد هشام، مركز الانتماء القومي، بيروت 1993 ص40.

[2]- المصدر نفسه، ص 41.

[3]- المصدر نفسه، ص 43.

1) المجازفة والمخاطرة :

ترى أنه يجب ممارسة الأفروديسيا في مواسم معينة إذ هناك من الفصول من يفضله مثل فصل الشتاء وهناك من الفصول من يرفضه ويوصي بعدم ممارسة الأفروديسا أثناءه، كما أنه يصرح بالأضرار الناجمة عن ممارستها في هذه الفترة فيقول « يجب تعاطي الإفروديسيا في الشتاء لا في الصيف، وباعتدال كبير في الربيع والخريف ، وهو على كل حال مضر بالصحة في كل الفصول »[1] بمعنى أشار هنا إلى سلبيات هذه الممارسة خاصة من الناحية الفزيولوجية فالنشاط الجنسي يؤثر على أعضاء الجسد , وأن كثرة ممارسة الأفروديسيا تؤدي إلى أذيتها حيث من الأضرار التي تنسب إلى كثرة ممارسة النشاط الجنسي يؤثر على الدماغ والرئتين والعينين, مثلا نجد ذلك في كتاب المسائل « يرى العيون والقطن [أي الكليتين] (LOMBES) هي الأكثر تضرراً ، إما لأنها تشارك في الاتصال الجنسي أكثر من بقية الأعضاء ، أو لأن الحرارة الزائدة تسبب تسيلاً فيها »[2] .

أما إتباع الحمية التي يقوم بها الرياضيون هي في حقيقة الأمر تؤدي إلى نتائج نافعة والسبب في ذلك يعود إلى عدم ممارستهم للعملية الجنسية فنجد أفلاطون في كتابه القوانين يتحدث عن إحدى الرابحين في أولامبيا « هو الذي كان يملك في نفسه التقنية والقوة مع الاعتدال فأنه لم يقرب أبداً حسب ما يروى ،لا من امرأة ولا من غلام » إذن هنا أفلاطون نجده من مؤيدي امتناع الممارسة الجنسية وجعلها في المرتبة الدنيئة لكونها تؤثر على القدرة العقلية للإنسان.

2) مقاربة التحليل النفسي : يعتبر سيغموند فرويد رائد التحليل النفسي حيث إهتم بدراسة الحالة النفسية للإنسان أي اهتم بالحالة الباطنية له فأحدث ثورة في مجال العلوم الإنسانية فقنم بإعطاء غريزة اللبيدو وقيمة كبيرة في حياة الإنسان فهي التي تتحكم في نوع شخصية الإنسان فإذا كانت غرائزه الجنسية في حالة عادية يتولد عنه شخصية سوية ،وإذا كان هناك

[1] – ميشال فوكو، تاريخ الجنسانية, الجزء الثاني, استعمال المتع, ترجمة محمد هشام, ص87.

[2] – نفس المصدر ، ص 86 .

اضطراب فيها أنتجت شخصية مريضة عير سوية ،إذن بمكن القول بأن فرويد جعل هذه الغرائز محرك سلوك الإنسان فنجد مثلا أشار إلى عقدة أوديب، أين بين الإنسان يولد ولديه طاقة غريزية تدعى بالشبق، حيث الشبق لديه دور فعال في تصرفات الأفراد، وطاقة اللبيدو التي تمر بمراحل معينة خلال فترة النمو منها :

- **المرحلة الجنسية الطفولية:** (من الولادة إلى السنة الثانية) تعتبر هذه المرحلة من المراحل الأولى قبل سن البلوغ وتتألف من ثلاث مراحل وهي تتألف بدورها من ثلاثة مراحل, حيث « ينتج عنها أكبر استشارة , ويعد أكبر مصدر اللّذة خلال هذه المراحل» [1]أي المرحلة الأولية للإنسان تمثل أكبر مرحلة للذة فهنا نجد الطفل يستعمل خاصة لذته الحسية، ونجد هذه المراحل كما يلي :

- **المرحلة الفمية:** تبدأ من الولادة إلى العام الأول فيتمركز النشاط الطفل اللبيدي في الفم وهو يذهب في تحليله لهذه المرحلة إلى مختلف إبعاد الاجتياف ألفمي حيث يبني بعض خصائص علاقة الموضوع الفمية ،من اتحاد اللبيدو (حب، تدمير) واجتياف الموضوع وصفاته والاحتفاظ به داخل الذات،كما يبين أيضا تلازم عملية الاجتياف الفمي تلازما وثيقا مع علاقة النماذج الأولى للتناهيIDENTIFICATIONS في البدايات الأولى من حياة الفرد"[2] أي أن الطفل في بداياته يستعمل اللذة الفمية والحسية وهي أبسط اللذات.
- **المرحلة الشرجية:** ابتداءا من العام الثاني وبداية العام الثالث حيث نجد مصدر اللذة متمركز في المنطقة الشرجية للطفل،أثناء هذه المرحلة يجب على الطفل أن يتعود على الأمور الحسنة ويميز بين الجيد والغير الجيد يمكن اعتبارها فترة تدريب أين "يبدأ الطفل بإظهار خضوعه وامتثاله لهذه المطالب ، وإما بإظهار استيائه ورفضه لها، والتعبير عنها بأفعال معينة كرفض الطعام ورفض الإصغاء إلى الأم، ففي هذه الحالة ترتبط ردود الفعل العدائية المطالب أن مشاعر الحقد على الأم بالطابع العدواني والتدميري الذي يضفه

[1] غانم ابتسام ، التصور الاجتماعي للعذرية عند الطالبة الجامعية ، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، ص 49،50

[2] د مريم سالم، علم النفس النمو ،دار النهضة العربية ،بيروت لبنان،الطبعة الأولى 2002 ،ص48

الطفل على هواما ته على عملية التغوط ويدعوا فرويد هذه المرحلة بالمرحلة السادية الشرجية"[1] أي هنا الطفل نجده في حالة غير عادية فيمارس العدوان خاصة على أمه.

- **مرحلة الكمون:** من نهاية المرحلة الأوديبية حتى سن البلوغ أثناء هذه المرحلة تكون الأزمة لأوديبية في حالة هدوء تتميز هذه المرحلة بالكبت ، والكبت ليس مرتبط برغبات المراحل ما قبل الاودبية، بل حتى مختلف ذكرياته الماضية "بل يشمل معظم ذكريات الأحداث السابقة"هي فترة هدوء نسبي يحرر فيها الطفل طاقاته ويعيد توجيهها في أنشطة اجتماعية محسوسة ومقبولة إن هذا التعديل في الطاقة اللبدية هو ما يدعي التسامي"[2]
- **المرحلة القضيبية**:وهذه المرحلة تبدا من السنة الثالثة حتى السنة السادسة ،يشير فرويد الى ان ما يقوم بدور مهم هو العضو التناسلي ،وهما تصل المرحلة الفمية الى ذروتها ،كما أن هذه المرحلة يسعى الطفل الى الاطلاع كل ما له صلة بالجنس ومحاولة فهمه لهذا الأخير.
- **المرحلة التناسلية** :وهذه المرحلة يعرفه إريك اريكسون "إنها فقط مجرد هدوء ماقبل عاصفة البلوغ"[3] هنا تكون الحياة الجنسية للجنسين(الذكر والأنثى) متشابهة ،ونجد العلماء استعانوا بالمعارف والتحليل العلمي للأعضاء التناسلية للجنس أين وجدوا تشابه بينهم ، حيث تبدأ المظاهر الجنسية في النمو والظهور إذ يصبح هذا الطفل الصغير كامل من الناحية الجنسية ويصبح جاهز في أداء وفي تطبيق تلك الوظيفة الجنسية ويستدل ذلك فرويد : « إن هذه التغيرات لا تتم في الجنسين بالطريقة ذاتها فالحياة الجنسية الطفيلية للصبي والبنت تكون متشابهة تماماً، لكن تطور المنطقة التناسلية مختلفة لما كان الهدف

[1] المرجع سيق ذكره،ص50
[2] المرجع سبق ذكره،ص50
[3] المرجع سبق ذكره،ص49

الجنسي يعطي كلا الجنسين وظائف مختلفة جداً ، فإن النمو الجنسي لكل منهما الآن في الاختلاف عن الآخر اختلافا كبيراً » .[1]

إذاً فهذه هي المراحل الثلاثة النفسية التي تمر بها الجنسانية الأنثوية في تطورها ومن المسائل التي تمر بها البنت والذكر نجد فرويد يشرحها في تفسيره لعقدة أوديب « يروي أسطورة « سوفوكلس » الإغريقية عن الملك " أوديب " الذي كتبت عليه الأقدار أن يقتل أباه ويتزوج أمه، والذي فعل كل ما بوسعه ليتفادى نبوءة العراف ، فلما لم ينجح عاقب نفسه بأن سمّل عينيه حالما أدرك أنه ارتكب عن غير وعي منه الجريمتين المتنبأ له بهما» .[2]

حيث تتولد لدى الصبي شهوة جنسية لها علاقة مباشرة اتجاه أمه أما بالنسبة للبنت فالرغبة الجنسية تتجه نحو أبيها إذ أن حب الطفل يمد لتلك الصلة مع أمه التي ترضعه أما ميله إلى أبيه ،فيفسر تلك الرغبة التي تجعله يود أن يكون مثله لكن من جهة أخرى يحس بأنه عائق أمام أمه فيعيش صراع نفسي لكن في نهاية المطاف ينشأ لديه الضمير الأخلاقي أما بالنسبة للبنت كانت لديها علاقة وطيدة مع أمها في البداية و لكن سرعان ما تتلاشى هذه العلاقة فتتحول إلى عذاب وصراع نفسي إذ تشعر بالضياع إذ أن أمها لم تعد تعطيها الحنان الذي تستحقه فتنشأ علاقة وطيدة مع أبيها « حيث كانت البنت تحب أمها حباً جماً، ثم يتغير موضوع حبها ليصبح الأب ويحدث ذلك بشعورها بخيبة أمل لافتقارها للعضو الذكري واعتقاد أن أمها هي السبب في فقدانه أو هي حالة خصاء فتتحول إلى حب الأب لامتلاكه العضو المهم الذي تحسده عليه (حسادة القضيب لدى البنت يقابله عقدة الخصاء عند الولد)، ولا تتفوق البنت بسهولة إلى حل هذا التناقض الوجداني »[3] .

3) <u>علم الأخلاق</u> : إن علم الأخلاق يوضح لنا الحياة الأخلاقية كما يقوم بتعيين الوسائل لامتحان الآراء الأخلاقية التي تظهر في شكل عرف وعادات كما يعيننا على معرفة الغاية

[1] - مريم سليم ،<u>علم نفس النمو</u>،ص 51.

[2] - المرجع نفسه، ص 50 .

[3] - غانم ابتسام ، <u>التصور الاجتماعي للعذرية عند الطالبة الجامعية</u> ،مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، ص 50.

الأخيرة للحياة ويساعدنا على النظر في النظم لإبقاء ما يصلح منها للبقاء وإصلاح الفاسد ونبذ ما لا يصلح حيث يقوم بتبيان المقياس الأخلاقي الذي به نحكم على الأعمال والذي نهتدي في ميولنا وأفعالنا كما أن الغرض من علم الأخلاق ليس فقط مقصور على معرفة مجهودات الإنسان وطريقة المعاملات وتأثيرها في حياتنا .

- **الجنس ولأخلاق**

السريونيون CYEREAIS: إن اللذين ينادون بهذا الرأي نجدهم يقولون "اللذة القصوى هي إرضاء الشهوة وامتناع النفس"[1]حيث يدعو الإنسان إلى اغتنام تلك اللحظة قبل مرورها أي أن عند تلبية رغباته يكون قد حقق شهوته .

الأبيقوريون : كان أبيقور يعلم أن لا خير للإنسان إلا اللذة حيث كلا من الأبيقورية والرواقية تضع الأخلاق في المرتبة الأولى والهدف من ذلك هو سعادة الفرد، والسعادة لا تتحقق إلى في الحصول على اللذات، إذ يدعوا إلى اجتناب اللّذة التي تقودنا إلى الآلام، حيث نجد أن أرستيب يرى أن : « اللّذة مرتبطة باللحظة الحاضرة »[2] فيجب اغتنام تلك اللذة قبل فواتها وبالتالي البحث عنها بإتباع سبل أخرى.

نجد إلى جانب ذلك الفيلسوف نيتشه الذي يرفض الأخلاق ويعتبر نفسه لا أخلاقي، فنجد كل كتاباته تقوم على نقد الأخلاق، حيث نجد في قوله « إننا بحاجة إلى نقد القيم الأخلاقية كما أن هذه القيم يجب دوماً أو توضع موضع سؤال – ولأجل ذلك، من الضروري أن نعرف الظروف والأوساط التي أنشأتها، والتي احتضنت نموها وتبدلها، الأخلاق كنتيجة وعرض وقناع وخدعة ومرض وسوء فهم، ولكن الأخلاق الآن، بل لا أحد يبحث عنها »[3]

[1] ي.دنى ،أصول الأخلاق ،ترجمة إبراهيم رمزي ،مصر، القاهرة،ص18

[2] – سلسلة أعلام الفكر العالمي، أبيقورس ،تأليف ببار بوياتشي ،الطبعة الأولى 1980 ،ص 54.

[3] – عبد الرحمان بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي ،سلسلة الفلاسفة ،نيتشه، وكالة المطبوعات ،الطبعة الخامسة 1975،ص55.

إنشغال الذات بالجنس:

قام فوكو في الجزء الثالث المعنون بالانشغال بالذات بتحليله لنص فرويد، فيعتبر هذا الأخير ارتيميدور من بين الفلاسفة الذين اهتموا بتفسير الأحلام أين كان يقضي معظم وقته فيها ،إذيرى الاحلام قد تعبر عما نعشه الآن أو عما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد إذ يرى يجب تفسره لأهمية ذلك،وكل ذلك يحدث بتدخل الآلهة، فيرى أن لها دور فعال فهي التي تقوم بكشف المستقبل للبشر في الرؤيا ،والغاية منها هو الاستعداد لتلك المصيبة وتحمل الصدمة القوية ،وهذا ما يوضحه من خلال قوله« إن الآلهة يقول أشيل تاتيوس (ACHILLETATIUS) في " مغامرات لوسبي وكيليتوفون LES AVENTURE DE) LOUPPE ET CITOHONE) يطيب لها غالبا أن تكشف المستقبل للبشر في رؤيا لا من أجل أن يتجنبوا المصائب، لأن لا أحد يمكنه أن يكون أقوى من القدر، ولكن من أجل أن يتحملوا بسهولة أكبر ألامه لأن ما يحدث في آن واحد وبشكل مفاجئ ودون أن نتوقعه إن ما يضطرب الفكر تحت قوة الضربة ويغمره، في حين أن الذي نتوقعه قبل أن نخضع له، قد يستطيع بالتعود التدريجي أن يضاعف الحزن والغم » .[1]

يرى أرتيميدور أن هناك نوعين من الرؤى الليلية فهناك أحلام تفسر تلك المكبوتات والعواطف الحاضرة التي يشعر بها الحالم مثلا "عندما نكون مغرمين فإننا نرغب في حضور الموضوع المحبوب وبالتالي نحلم بأنه هنا"[2] فهذه الأحلام تقوم في الوقت الحالي يعني من الحاضر إلى الحاضر إن الرؤى الحدث بعضها لا يعبر مباشرة إلى ما سيحدث في المستقبل "نري مثلا بأننا مصابين بالسلاح الذي سيجرحنا غدا"[3] وهذا ما يسمه بالرؤى النظرياتية ،إضافة إلى ذلك نجد الرؤى المجازية،والتي نعني بها الرؤى التي لاتظهر مباشرة ما سيحدث في المستقبل أي هي رؤى عكسية،وهذا ما نجده في قوله "فا صورة السفينة التي تتحطم على صخور البحر لا يمكن أن تدل لا على غرق ،ولا حتى على مصيبة ،ولكن بالنسبة للعبد

[1]– ميشال فوكو، تاريخ الجنسانية ،الجزء الثالث ،الإنشغال بالذات ترجمة محمد هشام ، ص07 .
[2] المصدر نفسه،ص12 .
[3] الصدر نفسه ،ص13 .

الذي يحلم بهاعلى تحريره المقبل ،وهذه هي الرؤى المجازية"[1] بين شكلن من الرؤى الليلية حيث هناك الأحلام التي تترجم الأحلام الراهنة (من الحاضر عن حالته الخاصة) أما بالنسبة للرؤى تختلف عن الأحلام وهو ما يؤثر في النفس ويثيرها ، إضافة إلى ذلك نجد أحلام الرغبة وهي عبارة عن أحلام تعبر عن تلك الرغبات الموجودة في النفس الباطنية للحالم مثلا : رؤية شخص عزيز عليك وهو مهاجر. إضافة إلى ذلك نجد اختلاف جوهري في رؤى الحدث فبعضها يعبر عما يوجد في المستقبل مثلاُ : « رؤية بأننا مصابين بالسلاح الذي سيجرحنا غداً »[2] لكن هناك اختلاف في رؤى الحدث، حيث هناك رؤى تعبر بطريقة مباشرة على ما يحدث في المستقبل مثل رؤية السفينة التي عليها تغرق فيما بعد هذه الرؤية نظرياتية ، ورؤى مجازية مثلاً : « فصورة السفينة التي تتحطم على صخور البحر يمكن أن تدل لاعلى غرق ولا حتى على مصيبة ولكن بالنسبة للعبد الذي يحلم بها تعبر على تحريره المقبل وهذه هي الرؤى مجازية »[3]. أي يعتمد على الرموز في تفسيره لها.

1) <u>غالينوس</u> : يرى غالينوس أنه من الضروري اختيار وإتباع طريقة تضمن استمرار الحياة ،وهذا ما صرح به في معجمه « فالأمر يتعلق بإيجاد مساعدة بتدبر وسيلة (BOETHEIR) ، باكتشاف طريقة (TECHNE) ، باستعمال طعم (DELEAR) لتأمين خلاص وحماية النوع وباختصار، ينبغي العثور عن شيء بارع ما (SOPHSMA) »[4].

حيث لجأ غالينوس إلى استعمال طريقة من أجل أن تضمن سير واستمرار العالم ،فلكي يكون الجنس بارع يجب أن تتوفر مجموعة من الشروط مثل الرغبة في النفس ،أين يرى تلك الأفعال الجنسية لا تزال حتى الآن تتميز ببعض الخصائص الأساسية الموجودة في الأعراف السابقة ،فيرى أن هناك تساوي في الأفعال عند الجنسين ،ويرجع غالينوس ذلك إلى التساوي في الأعضاء الداخلية لكل من الجنسين الذكرية والأنثوية وهذا ما أشار إليه من خلال قوله:

---

[1] نفس المصدر،ص13 .
[2]- المصدر سبق ذكره، ص13 .
[3]- المصدر سبق ذكره، ص13 .
[4]- المصدر سبق ذكره، ص 109 .

«أقلبوا أعضاء المرأة إلى الخارج، وأدخلوا أثنوا أعضاء الرجل إلى الداخل وستجدونها كلها متشابهة لبعضها البعض»[1]، أي أن في حقيقة لأمر أعضاء المرأة تشبه أعضاء الرجل والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا هذا الارتباط الوثيق بالأعضاء التناسلية ؟. أي أن هذه الوظيفة الجنسية لن تكون كاملة بل يعتبرها تقنية في الجسد، إذ أن الغاية تتحقق بالإعداد العضوي والسبب المادي وهذا ما يبينه في قوله « إذا كانت هذه الرغبة وهذا التلذذ يوجدان عند الحيوانات، فليس لأن الآلهة خالقي الإنسان قد أرادوا أن يوحوا لها برغبة عنيفة في الفعل الجنسي وحسب، أو أن يربطوا الممارسة بتلذذ حاد ولكن لأنهم قد أعدوا المادة والأعضاء للحصول على هذه النتائج »[2] أي أن لآلهة تعمدت إلى خلق الوظيفة الحيوانية في الإنسان.

2) <u>حمية المتع</u> : إن الحمية من بين المسائل التي تطرق إليها الفكر اليوناني القديم إذ يرون في هذه الحمية لابد أن تتوفر على طريقة يجب إتباعها من أجل ممارسة العلاقة الجنسية .

حمية الإنجاب : إذ يرى أنه يجب أثناء ممارسة العلاقة الجنسية وذلك بإتباع بعض الطرق والاحتياطات فيرى من أجل الحصول على ذرية صالحة يجب أن تكون الحالة النفسية غير مضطربة ، وأن يكون الإنسان في صحة جيدة، وكذلك الحالة النفسية تكون غير مضطربة إضافة إلى ذلك يوصي بإتباع غذاء متوازن واجتناب الهضم العسير حيث يدعو إلى العناية الفائقة بالجسد وعدم تعرضه إلى أي شيء يضره أثناء تلك العملية، وشبه هذه العملية بقطعة أرض التي يعتني بها الفلاح قبل زراعتها وفي هذا يقول « يزرع الفلاح حقله بعدما يكون قد أخلاه من كل نبتة طفيلية »[3] إذ يجب أن يقوم بذلك الفعل أثناء اللحظة المناسبة لحدوث الإخصاب، يكون مباشرة بعد انقطاع دم الحيض ويرفض أن يكون قبل الحيض، كما يدعو إلى التقيد بالسن المناسبة فلا يجب أن تكون في سن مبكرة جدا ولا في سن متأخرة حيث

[1]- المصدر سبق ذكره، ص 110، 111 .
[2]- المصدر سبق ذكره، ص 111 .
[3] - المصدر سبق ذكره،ص 128 .

عندما تكون في سن مبكرة تعيق النمو ، وعندما تكون في سن متقدمة تتعب الجسد وهذا ما صرحه في قوله « لا شيء يعوق تقدم النفس والجسد أكثر من استعمال سابق لأوانه والمفرط للعلاقات الجنسية » [1] نفهم من هذا التصريح أن العملية الجنسية تؤثر على الجسد من الناحية الصحية للفرد.

حاول غالينوس أن يحلل النصوص الطبية القديمة فتوصل إلى أن النطفة مادة نفيسة لأنها تسمح بالفرار من الموت بما لها من دور كبير في بناء الجسم الإنساني ،كما رد على هؤلاء الذين يعتبرون الجنس سلوك عادي طبيعي في حياة الانسان ،لايخرج عن نطاقه الغريزي ،كما وقف صامدا ،أمام تلك الآراء القائلة بأن ممارسة الجنس يؤدي إلى أمراض عضوية ،عكس أبيقورس الذي أراد أن يقضي على كل اللذات بما فيها الحب وهذا ما يبينه في قوله "يقضي ابيقورس جذريا على الحب" [2] فالحب عنده يسبب الأوهام والعذاب ،وأبقى على اللذة البدنية ، لكن بفرض المراقبة الصارمة عليها وإلا تكون سلبية للجسد ،وفي الأخير توصل إلى أن السلوك الجنسي لا فائدة ولا معنى له.

3) نماذج من الشذوذ الجنسي :

أولا / الجنسية المثلية : هي تلك الممارسة التي تتم بين نفس الجنس ذكر ، ذكر حيث هناك من الحضارات من سمحت بممارسة العادة وهناك من رفضها حيث كانت اليونان من بين الحضارات التي سمحت بممارسة هذه العادة المخلة للحياء فنجد بعض المؤرخين والأطباء منذ العصور القديمة اهتموا بهذه الظاهرة وأعطوا له حقه حيث هناك من يرفض هذه العادة ويعتبرها خرقا للقانون والأخلاق وهناك من يعتبرها شيء طبيعي، وأغلب الأديان مقتت هذا الفعل المخل بالحياء وحاولت محاربته مما يسببه من أضرار جسمية ونفسية ومن هذه الأديان الدين القوي والأكثر نهياً وتشديداً على عدم ممارستها « دين الإسلام »، كما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : « ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد

[1]- سبق ذكره ،ص 131 .

[2] بيار بوياتسي،سلسلة اعلام الفكر العالمي ،أبيقورس،ترجمة بشارة صارجي،المؤسسة العربية والنشر ،بيروت ،الطبعة الأولى ،1980 .

من العالمين (80) إنكم لتأتون الرجل شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (81) وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (82) فأنجبناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (83) وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (84) »[1]

ثانيا / الاستمناء : يعتبر الاستمناء من بين الأمراض التي يعاني منها الأطفال سواء في القرون الماضية أو في وقتنا الحالي حيث كثرت هذه العادة نجد قول سيغموند فرويد « فإغواء الأطفال يحدث بكثرة بشعة بين المدرسين ، وبين الخدم، وذلك لمجرد أن لديهم أحسن فرصة له »[2]، و حارب الأطباء في خلال القرون السالفة الاستمناء واعتبروه مرضاً وخارج نطاق الأخلاق أي في حد ذاته هو سلوك لا أخلاقي ، وحاربوه بشدة ، حيث ساهم الأطباء إخراجه من سياقه المحاط بالسرية لتطرح في مجالات البحث وقاموا بتخويفهم بأن هذه العادة لها أخطار وأمراض مزمنة لا شفاء لها، ويجب الكف عنها حيث هناك من الأطفال من لجئوا إلى الانتحار لأنهم عجزوا عن التوقف عن ممارستها، إذ ربطها الأطباء بالمرض والجنون والموت .

ثالثا / إتيان البهائم : تعتبر هذه الممارسة من بين الممارسات الشاذة التي يعاقب عليها القانون إذ تعتبر خارجة عن نطاق الأخلاق، فيقوم بعض الأطفال والشاذين جنسياً بممارسة هذا الفعل لهدف إشباع غرائزهم الجنسية مع الحيوانات ،بالطبع تلك الحيوانات الأليفة على سبيل المثال : الكلاب ,,,الخ حيث نجد سيغموند فرويد يقول : « وينطبق نفس القول على الاتصال الجنسي بالحيوانات وهو أمر ليس نادراً وخاصة بين سكان الريف – الذي يبدو أن الميل الجنسي فيه قد تخطى حدود النوع »[3] كما نجد القرآن الكريم لم يسكت عن هذه السلوكيات الشاذة واعتبرها تمس بمبادئ القرآن الكريم , وقد اتفق علماء الدين الإسلامي على أن هذا الفعل محرم من رب العالمين ، في قوله تعالى : « والذين هو لفروجهم

[1]– سورة الأعراف، من الآية 80 إلى 84 .

[2]– سيغموند فرويد، ثلاث رسائل في نظرية الجنس ،ترجمة محمد عثمان نجاتي ،ص 57.

[3]-المصدر نفسه ، ص57 .

حافظون(5) إلى على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين(6) فمن ابتغى ورآء ذلك فأولئك هم العادون"[1]

رابعاً / الاقتران بالمحارم : لقد كانت هناك ممنوعات أساسية باليونان نذكر منها على سبيل المثال أنه ممنوع الاقتران بالمحارم إلا أن تلك الممنوعات لن تستأثر إلا قليلاً في اهتمام الفلاسفة ورجال الأخلاق إذا نحن قارنا بذلك الانشغال الكبير على التحكم في الذات، كما أن الديانة المسيحية لم تسكت عن ذلك وقد تطرقت إلى ذلك الموضوع وحرمته واعتبرته خارج عن نطاق الأخلاق والقانون .

إذ أنه منذ القدم كان لا يجوز ومحرم على البشر الجمع بين المحارم مثل: الابن وأمه, الأب و ابنته...الخ .

وعندما نستخلص أيضا الأسطورة اليونانية أوديب « الذي أفقأ عينيه بعدما عرف أنه تزوج بوالدته التي انتحرت بعدما عرفت أنها تزوجت بابنها » كما نجد في قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكحوا ما نكح أبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان ومقتا وساء سبيلا، حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم و بنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم اللذين من أصلابكم و أن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيما »[2].

كما أن هناك من البلدان العربية، من تطرقت إلى هذا الموضوع المثير للاهتمام ومحاولة معالجته لأنها لم تحبذ الفكرة لكن هناك من البلدان العربية من تقبلت الفكرة بشروط مثل ما اشترطته مصر، على أن العقوبة تكون في حالة ما إذا لم يبلغا السن القانوني للزواج لأنه يعتبر هتك عرض ، و اغتصاب ولا تعاقب عليه إن كان بالتراضي، نجد مثلاً: من قانون العقوبات المصري المادة (267) : « من وَاقع أنثى بغير رضاها يعاقب بالأشغال الشاقة

[1] سورة المؤمنون،الاية 5-7
[2]- سورة النساء.،الاية 23

المؤبدة أو المؤقتة فإن كان الفاعل من أصول المجني عليها أو من المتولين تربيتها أو تم ملاحظتها أو ممن لهم سلطة عليها أو كان خادما بالأجرة عندها أو عند من تقدم ذكرهم يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة » .[1]

في النهاية نستنتج من خلال دراستنا لتاريخ الجنسانية، أن فوكو ربط الجنس بعدة مفاهيم، في الرغبة والتحريم، وتظهر هذه العلاقة من خلال القوانين التي شرعها البعض وحرمها البعض الآخر، ويتضح ذلك لنا أن الجنس ليس مقترن فقط بالمتع واللذات، وهذا راجع لكون السلطة قامت بتوظيف مختلف الآليات وإتباع استراتيجيات . الهدف من تطبيقها هو لغرض الرقابة والعقاب، كما عمدت على تطبيق إجراءات لكل من يتجاوز هذه القوانين إذ للأديان دور فعال (الكنيسة ، ورجال الدين) في إصرارها على تأصيل الشذوذ، إذ أن كل من قام بخرق هذه القوانين فمصيره هو الحساب والعقاب بأبشع الطرق، ويصنف ضمن دائرة مرتكبي الخطايا ،والذنوب حيث تحولت علاقة الرغبة بالتحريم إلى علاقة بين الرغبة والموت، إذ ينظر إلى الشواذ على أنهم قاموا بقلب العلاقة الطبيعية التي بين الرجل والمرأة ، بهذا يمكن القول بان هناك نوعا من المتع ارتبطت بالجريمة وهذا فيما يتعلق بالاغتصاب إلى جانب ذلك نجد اقتران تلك الرغبة بالمرض حيث مع ظهور علم النفس والطب العقلي وغيرها من الفئات التي تملك القوة والخطاب العلمي التي تأكد أن تلك الممارسات تندرج ضمن الممارسات الصادرة عن عقدة مرضية .[2]

[1] - جرائم الشذوذ الجنسي وعقوبتها في الشريعة الإسلامية والقانون ،بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العدالة الجنائية تخصص التشريع الجنائي الإسلامي ،ص 75 .

[2]-جحيقة ابراهيمي، حفريات الإكراه في فلسفة ميشال فوكو،ض 121-122.

خاتمة

خاتمة

من خلال التحليل السابق يمكننا ان نستخلص بأن فوكو فيلسوف التهميش لانه أراد ان يؤرخ للمواضيع المهشمة من المجتمع كالمجنون وبعض المرضى المصابين بأمراض الغامضة كالجذام،كما انه حقق حلم بعض الفلاسفة أمثال فريدريك نتشه الذي يرى بان هناك بعض المواضيع ذات أهمية كبرى في حياة الإنسان كالحب والشهوة والشفقة والقسوة والجنون ...فلما لا نؤرخ لها؟ لهذا نجد فوكو اهتم حتى بالمواد الأولية التي بها تم بناء السجون والمستشفيات والتخطيط المحكم لكيفية بناء جدران المساجين والمستشفيات وغيرها من المؤسسات ومحاولته للاستفسار عن هؤلاء الذين تركوا بصماتهم فيها وعن هندسة التعذيب التي تم تطبيقها داخلها.

تمكن فوكو من استنتاج العلاقة التي ربطت الجنون بالجنس والمعرفة وحلقة وصل بينهما الا وهي الرقابة والعقاب وكل هذا استخلصه بالعودة إلى تاريخ هذه المواضيع أي توظيفه لتاريخ للوصول الى غاية واحدة وهي الحقيقة التاريخية بطرق مختلفة إذ استعملت السلطة كل مالها من قوة لتحكم في الأفراد والاطلاع على أدق تفاصيل حياتهم ،وليس هذا فحسب وانما استعملت الخطاب الطبي من اجل تحديد سلوكهم بحجة حمايتهم والمحافظة على صحتهم،لذا يمكننا ان نقول بان السلطة استعملت حتى العلوم(علم النفس ،الطب العقلي) من اجل التحكم في الفرد وهذا ما يؤدي بنا إلى القول بان الحضارة الغربية ليست تلك التي يتغنى بها الجميع بأنها ذروة التطور والتقدم والمحافظة على الكرامة الإنسانية وإنما التاريخ يثبت لنا عكس ذلك، أين اثبت لنا فوكو من خلال عودته لقراءة التاريخ انها دنست كرامة الانسان وشرفه بل وجعلته في مرتبة أدني من مرتبة الحيوان،وتم اكتشاف البعد السياسي للجسد وتم تجاوز فكرة بيولوجية الجسد التي لا علاقة لها بالسلطة ،لكن رغم الإيجابيات التي قرأ بها فوكو التاريخ إلاانه لم يسلم من بعض الانتقادات الموجهة له من طرف كبار الفلاسفة

من بينهم هابرماس أين قدم له عدة ملاحظات من بينها انه من رغم رفضه الشديد لتصنفه ضمن فلاسفة البنيويين فهو لم ينجح في ذلك لكونه لم يتمكن من الاستغناء عن المنهج البنيوي التاريخي لكونه اعتمد على أحداث تاريخية خاصة في مؤلفه الرقابة والعقاب،كما انه لم يقرأ التاريخ بموضوعية لكونه اخفى بعض الحقائق التاريخية خاصة تلك المتعلقة بالجرائم التي ارتكبتها فرنسا في مستعمراتها. واخفق في قراء بعض الوثائق التاريخية ،فلاحظنا من خلال الأمثلة التي استدل بها أن لإعدام جذبا بلاحصنة يطبق فقط على اللذين يمسون الأسرة الحاكمة .

كما أن تصنيف فوكو للعقاب حسب المجتمع،فالنفي مثلا خاص بالمجتمع اليوناني في حين التاريخ يثبت أن المجتمع اليوناني طبق عقوبة السجن فهذا يؤكد لنا أن العقاب يحدده نوع الجريمة وليس البنية الفكرية للمجتمع .إذن هذا مايبين لنا أن فوكو لم يراع المعطيات التاريخية .

فكما هو معروف التاريخ يعتمد على الوثيقة أي الصدق التاريخي يكمن في صدق الوثيقة من اجل التحلي بالموضوعية ومن اجل تجنب السقوط في الذاتية وفسح المجال للتخمينات ،فالمنهج الحفري الذي اعتمده فوكو الوثيقة هي العصب المحرك لبحثه فنجده في موضوع الجنسانية أشار إلى أن المجتمعات العربية المسلمة تملك فنا شبقيا يقوم على الشهوة على عكس الحضارة الغربية التي أسست الجنس كعلم قائم بحد ذاته في حين انه لايملك أي وثيقة تثبت ذلك .

كما لا يخفى عنا أن فوكو تطرق إلى أشكال العقاب خلال العصر الكلاسيكي ولكنه تناسى تلك الفنون العقابية التي مورست في حق الإنسانية في العصر الحديث وهذا دون شك نقصد تلك التي طبقت أثناء الفترة الاستعمارية من طرف الحضارة الغربية عامة وفرنسا خاصة فأقامت سياسة العزل كتلك التي كانت حاضرة أثناء انتشار مرض الطاعون.إذن يمكن القول بان فوكو مجد الحضارة الغربية لكونها سبقت إلى القيام ببعض السلوكيات الإيجابية،فرغم

كل هذه الانتقادات الا أن هذا لاينقص من قيمة الرجل الذي تمكن من اختراق بعض الممنوعات خاصة تلك التي لها علاقة بالسلطة ،وتحله بالتواضع هو الذي اكسبه هذا الاحترام والمجد خاصة من طرف قرائه وكسبه لشهرة العالمية رغم موته المبكر،بل بالعكس فكلما أتحت له الفرصة يبين انه لم يصل الى كل الحقيقة بل هناك بعض التساؤلات لم يلق لها جوابا خاصة تلك التي تتعلق بتشخيص معضلة الجنون وجعلها خاضعة للعلم مثلها مثل الحالات المرضية الأخرى.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1) حفريات المعرفة ،ترجمة سالم يفوت ،الدار البيضاء ،المغرب ،الطبعة الثانية 1979

2) دروس (1970–1982) ،ترجمة محمد ميلاد،دار توبقال ،المغرب،الطبعة الأولى 1984

3) نظام الخطاب ، ترجمة محمد سبيلا ،دار التنوير بيروت ،لبنان ،الطبعة الأولى 1984

4) ميشال فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي،ترجمة سعيد بنكراد،المركز الثقافي العربي ط1 ،2006

5) ميشال فوكو ،المراقبة والمعاقبة،ترجمة علي مقلد،تقديم مطاع صفدي،مركز الانتماء القومي ،بيروت،1990

6) ميشال فوكو ،جينالوجيا المعرفة،ترجمة أحمد السطائي وعبد السلام بنعبد العالي،دار توبوقال لنشر ط2008،2

7) ميشال فوكو تاريخ الجنسانية:الجزء:إرادة المعرفة،ترجمة جورج ابي صالح،ترجمة ومراجعة وتقديم مطاع صفدي للينابيع،مركز الانتماء القومي،بيروت 1991

8) ميشال فوكو ،تاريخ الجنسانية ،الانهمام بالذات ،ترجمة جورج ابي صالح ،ترجمة ومراجعة وتقديم مطاع الصفدي،مركز الانتماء القومي ،بيروت ،1992

9) ميشال فوكو ،تاريخ الجنسانية،استعمال الملذات ،الجزء استعمال الملذات ،الجزء الثاني ترجمة أبي صالح ،ترجمة مطاع الصفدي،مركز النماء القومي ،بيروت 1993

10) ميشال فوكو،هم الحقيقة ،ترجمه مصطفى المسناوي،مصطفى كامل،محمد بولعيش،الطبعة الجزائرية الأولى 2006

11) أصول الأخلاق ، تأليف ي دنى ،ترجمة إبراهيم رمزي،مصر ،القاهرة

12) سيغموند فرويد،ثلاث رسائل في نظرية الجنس ،إشراف محمدعثمان نجاتي،دار الشروق ،الطبعة الثانية 1986.

13)عبد الرحمان بدوي،خلاصة الفكر الأوروبي،سلسلة الفلاسفة نتشه ،وكالة المطبوعات الكويت 1970.

بالفرنسية

1) Histoir de la folie , ed , Saint Amand ,France 1964

2) Surveiller et punir , ed, Gallimard, France 1974

المراجع:

1) جون بول سارتر،دفاعا عن المثقفين ،ترجمة جورج طرابيشي، دار المعارف ،مصر الطبعة الأولى 1984.

2) عبد الوهاب جعفر ،البنيوية بين العلم والفلسفة عند فوكو ،دار المعارف ، الطبعة الأولى بدون تاريخ النشر.

مجلة الكرمل ، العدد 13، 1984.

3) محمد حيان السمان ،الجنون في الثقافة العربية،منشورات الرياض الريس،لندن

4) جججيقة براهيمي، حفريات الاكراه في فلسفة ميشال فوكو ،منشورات الاختلاف ،الجزائر،ط1 ،2011 .

عبد العزيز العيادي، المعرفة والسلطة،المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر ،بيروت ط1 1994 .

5) الزواوى بغورة ،مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ،دار النشر للهيئة العامة لشؤون المطابيع الاميرية،ط1999 .

6) السيد ولد اباه،التاريخ والحقيقة، لدى ميشال فوكو، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ط1 1994 .

7) مجلة العرب الثقافي(البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة) 2007 العدد11

8) د/مريم سليم ،علم النفس النمو ،طبعة الأولى 2002

9) غانم ابتسام، التصور الاجتماعي للعذرية عند الطلبة الجامعية، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في علم النفس الاجتماعي.

10 جرائم الشذوذ الجنسي وعقوبتها في الشريعة الإسلامية والقانون،بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العدالة الجنائية،تخصص التشريع الجنائي الاسلامي